

رواية  
لم يكن يوماً لها



بقلمي إيمان عبد  
الواحد

لم يكن يوماً لها

بقلم /

إيمان عبد الواحد

## الفصل الأول

وقفت شيرين في ساحة المحكمة و هي تتراجع في ثبات .. في القاعة المزدهمة بالناس و الصحفيين سرت همهمات الإعجاب بالمرافعة التي أنهتها قبل أن يتم حجز القضية لإصدار الحكم .. حملت شيرين حقيبة أوراقها وذهبت إلى استراحة المحامين ؛ و جلست تشرب قهوتها في هدوء .

رغم صغر سنها كان لاسمها رنيناً مميزاً في عالم المحاماة صنعته بدأبها و نجاحها المستمر في جميع القضايا التي تتولاها و التي كان لبعضها نصيب الأسد في الاستحواذ على اهتمام الصحفيين و وسائل الإعلام و الرأي العام ؛ مما ساهم في تثبيت أقدامها في الصف الأول لكبار المحامين عن جدارة .

- مرافعة ممتازة .. كان سيفوتني الكثير لو لم أحضرها .

ارتجفت .. هذا الصوت الدافئ لا يمكن أن تخطئه أذنها رغم أنها لم تسمعه منذ سنين .. هل يمكن أن يكون هو فعلاً ؟ .. لا ..

مستحيل .. رفعت عيونها تنظر إليه و انتفض  
قلباها بين ضلوعها و كأنه جثة عادت إليها  
الحياة من جديد .

- عزت ؟!

لم يعد هو نفس الشاب الذي كان يجلس  
بجوارها في نفس المدرج ؛ عيونه الدافئة التي  
كانت تغمرها بحنان الدنيا بأسرها كانت باردة  
و كأنها خالية من الحياة .. ابتسامته الجذابة  
اختفت خلف قناع من الصلابة و التجهم ..  
حتى ملامحه الرقيقة كادت أن تختفي خلف  
شارب كث و ذقن كثيفة .. كان مختلفاً و لم  
يكن هذا غريباً فهي لم تره منذ سبع سنوات  
كاملة و الأيام تستطيع أن تغير الكثير .

كان ينظر إليها و كأنه يتقرس في ملامحها  
و يبحث خلفها عن الفتاة المشرقة بالحياة  
و التي كانت ذات يوم غايته و مبتغاه ..  
فكرت في أنها هي أيضاً قد تغيرت و تساءلت  
كيف يراها عزت الآن .. الشعر الحريري  
الذي كان ينسدل على ظهرها و يتطاير حول  
كتفيها اجتذبت معظمه ؛ و ما بقى منه قيدت

جموحه في ضفيرة قصيرة .. العيون التي  
كانت تلمع و كأنما تشرق فيهما ألف شمس  
اختفت خلف نظارات معتمة العدسات و كأنها  
تهرب و تختبئ .. ابتسامتها الصافية تاهت  
منذ فارقته و لم تحاول البحث عنها ..  
و تساءلت : هل يرى كل هذا التغيير و هو  
ينظر إليّ الآن ؟ .. لكنها لاحظت أن نظراته  
لم تتوقف عند وجهها طويلاً بل توقفت عند  
الإطار الماسي الذي يزين بنصرها الأيسر  
قبل أن يهتف :  
- كيف حالك ؟

كان هذا أول سؤال لن يمكنها الإجابة عنه  
بصدق و صراحة كما اعتاد منها أن تفعل ؛  
لذا همست على مضض :  
- ناجحة كما ترى .. هل حضرت المرافعة ؟

جلس على المقعد المواجه قبل أن يهتف في  
هدوء :  
- لحسن حظي .. مرافعة قيمة جداً و لا ريب  
من أنك قد ضمنتي لموكلتك حكماً بالبراءة لا  
يستحقه .. قضايا رجال الأعمال مربحة جداً  
.. أليس كذلك ؟

شعرت بضيق لم تستطع إخفاءه و هي تهتف :  
- هل جئت بعد سبع سنوات كاملة لتناقش أخلاقيات المهنة ؟ .. أنا ماهرة في عملي يا عزت و القاضي فحسب هو الذي يستطيع أن يحكم بما إذا كان موكلي يستحق البراءة أم لا .

رفع حاجبه قبل أن يهتف في استخفاف :  
- من هذه الناحية بالذات اطمئني .. مهارتك التي لا يستطيع أحد إنكارها قدمت لذلك الفاسد البراءة على طبق من ذهب .. في الواقع منذ بدأت ممارسة المهنة و أنا أسمع عن مهارتك أساطير لم أستطع تصديقها قبل اليوم .

كانت أصابعها ترتجف على نحوٍ لاحظته جيداً عندما رفعت قدح القهوة إلى فمها و ارتشفت بعضاً منه قبل أن تهتف :  
- ظننت أنك في الكويت كل هذا الوقت .. متى عدت ؟

كان ينظر إلى القلادة الفضية التي في رقبتها قبل أن يهتف :

- منذ ثلاث سنوات تقريباً .. رأيتك عدة مرات  
في المحكمة من قبل لكن محامية شهيرة مثلك  
لن تلاحظ المبتدئين أمثالي .

بلا وعي امتدت أناملها تمسك بالقلادة و كأنها  
تحاول أن تخفيها ؛ فابتسم عزت و هتف في  
سخرية :

- امرأة في مكانتك ولها زوج في ثراء حاتم  
سعيد لا يجب أن تتحلى بشيء رخيص على  
هذا النحو .. كان عليك رميها منذ وقتٍ  
طويل .

شعرت بالتوتر ؛ فتحت حقيبة يدها الأنيقة  
و أخرجت علبة سجائرها و حاولت إشعال  
سيجارة بيد ترتجف لكن بلا جدوى ؛ أخرج  
قداحته و أشعل لها السيجارة قبل أن يشعل  
واحدة لنفسه و يضع القداحة على الطاولة  
أمامه .. حدقت بها شيرين للحظة قبل أن تلمع  
الدموع في عيونها .. و همست :

- لست ماهرة مثلك في التخلص من التذكارات  
القديمة .. كيف حال رجاء ؟ .. هل عادت من  
الكويت معك و بدأت في مزاولة المهنة من  
جديد ؟

نفث دخان سيجارته قبل أن يهتف :

- رجاء عادت معي .. لكنها لم تعد لمزاولة  
المحاماة .. لم يعد هذا ممكناً .. لديّ مكتب  
صغير في الدقي لكنني أعمل به وحدي ..  
أتصور أن مكتبك يعج بالمحامين الذين  
يعملون تحت إدارتك يا دكتورة .

أطفأت سيجارتها في توتر و هي تهتف :

- صنعت اسمي بنفسي يا عزت .. صحيح أن  
إمكانيات والدي ساعدتني في الحصول على  
مكتب في أرقى موقع لكنني اجتهدت ..  
حصلت على الماجستير و الدكتوراة و لم  
أخسر قضية واحدة منذ امتهنت المحاماة ..  
كرست حياتي لمهنتي حتى ثبت أقدامي في  
هذا العالم و أستحق سمعتي عن جدارة .

مط شفتيه قبل أن يهتف :

- لم أقل غير هذا .. و على فكرة أنا هنا  
كمحامي ولديّ عمل يجب أن أناقشه معك قبل  
أن آخذ الأمر إلى ساحة القضاء .



زفرت في حرارة و هتقت :

- أي عمل هذا الذي ترغب في مناقشته في زحام استراحة المحامين ؟ .. إذا كان هناك عمل معلق بيننا فعلاً فعليك أن تناقشه في مكتبك أو مكنتي .

نهض و هو يهتف :

- مكنتي متواضع و لا يناسب جلالتك .. سأتي إلى مكتبك في الموعد الذي تحددينه و ليكن هذا بسرعة ؛ لأنني لا أرغب في أن أفق أمامك كندٍ لك في قضية .. على الأقل إكراماً للأيام الخوالي .

نهضت بدورها و حملت حقيبتها و هي تهتف :

- سأنتظرك الليلة في الثامنة مساءً .. عنوان المكتب ....

قاطعها هاتفاً :

- أعرفه .. أشهر من النار على العلم يا دكتورة .. أراك في الثامنة تماماً .. مع السلامة .

تركها و انصرف بخطى سريعة قبل أن تذهب  
إلى سيارتها ؛ ألقت حقيبتها جانباً قبل أن  
تتفجر باكية في حرقه .

## الفصل الثانى

دخلت شيرين إلى مكتبها الفخم الذي كان يزدهم بالمحامين ؛ و ألقت التحية في اقتضاب على سكرتيرتها قبل أن تطلب منها عدم إزعاجها ثم دخلت إلى غرفتها الخاصة ..

نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط و التي لا زالت عقاربها تشير إلى السابعة مساءً و زفرت في حرارة .. لا تزال لا تصدق أنها قد رأت عزت فعلاً و تكلمت معه بعد كل سنوات فراقهما الطويلة ؛ و لا تصدق أنها ستراه مرة أخرى بعد قليل و ستحدث معه من جديد .

مرت عليها أوقاتٌ قاسية منذ أدركت أن الرجل الوحيد الذي أحبته طوال حياتها لم يكن يوماً لها و لن يكون ؛ و أن قصة الحب الجميلة التي عاشتها معه ذات يوم هي مجرد صفحة في حياتها انطوت على جراح لا تنساها و ألم دفين لا ينضب ؛ ولم يكن من السهل عليها أن تطوي صفحة الماضي لكن مجرد رؤيتها له عبثت بجراحها و أعادت إليها سילاً من الذكريات التي ظنت شيرين لبعض الوقت أنها تستطيع أن تنساها لكنها

باتت مضطرة الآن لأن تعترف بينها و بين نفسها  
بأنها لا تزال حية و موجعة .

جلست شيرين خلف مكتبها و أمسكت بالقلادة التي  
تتدلى حول عنقها و هي تتنهد في حرارة و قد  
عادت بها الذكرى إلى أول لقاء لهما معاً ..

كانت طالبة مجتهدة جداً و قد انتقلت لتوها للفرقة  
الرابعة بكلية الحقوق – جامعة القاهرة و كان  
عزت زميلها في نفس الدفعة .. زميل لم يجمعها  
به طوال سنوات الدراسة لقاء أو حديث رغم أنها  
كانت تلاحظه جيداً و هو جالس دائماً في طرف  
المدرج وحيداً و صامتاً ؛ يركز على محاضراته  
و يقضي وقته في الكلية ما بين المكتبة و قاعة  
المحاضرات دون أن تكون له صداقة مع أحد من  
زملاءه و لا مجرد علاقة عابرة .

كانت شيرين تستغرب دوماً أن يكون شخصٌ شديد  
الانطواء و غير ودود مثل عزت قادراً على أن  
يحافظ بتفوقه الدراسي و كان يغیظها أنه يسبقها  
في التقدير و لم تكن تستبعد أن يتخرج كأول الدفعة  
و يحرمها من فرصة التعيين في الجامعة التي  
كانت حلم حياتها و لن تقبل بأن يقف أحدٌ بينها

و بين تحقيقه .. قبل أن تجمعها الظروف مع عزت  
على غير انتظار .

كان الصيف قد شارف على الرحيل ؛ و الخريف  
يعود بخطى حثيثة ليعري الأشجار من أوراقها  
الخضراء و يبشر بقدم شتاء قارس البرودة ؛  
عندما أصرت على الذهاب في رحلة مع زملاءها  
بالكلية إلى الاسكندرية لقضاء يوم على الشاطئ  
قبل أن تزداد برودة الطقس و يصبح النزول إلى  
البحر ضرباً من الحماسة .

لم يكن والدها في العادة يوافق على انخراطها مع  
زملاءها في مثل هذه النشاطات لكنها أصرت على  
الذهاب ؛ كان يزعجها دوماً أن والدها يصر على  
أن يتحكم في حياتها و أن يسيرها كيف يشاء ؛ كما  
كان يحقها إصراره الدائم على أن يعتبر جميع  
الناس في منزلة أدنى و لا يحق لهم مجرد النظر  
إليها أو الحديث معها .. كون والدها ذا ثروة  
عريضة و نفوذ لا يستهان به ؛ و منصب وزاري  
رفيع المستوى لا يعطيه الحق في أن يجردها من  
حريتها و يعزلها عن الناس الذين تحب أن تحظ  
بصداقتهم و تهتم بالارتباط بهم .

كانت شيرين سباحة ماهرة ؛ و كثيراً ما فازت في مسابقات السباحة التي كان ينظمها النادي و هذا ما جعلها تتخلى عن الحذر و هي تبتعد عن زملاءها و تتوغل في الماء و تخوض غماره بجرأة قبل أن تبتعد كثيراً عن الشاطئ .. و عندما أصابها ذلك الشد العضلي في ساقها و أعاق حركتها و جعلها تعجز عن السباحة و غلبها الموج و غمرها أيقنت من أنها ستموت لا محالة فقد بدأت في ابتلاع الكثير من الماء قبل أن تفقد وعيها ببطء .

بالكاد كانت شيرين واعية لليد التي أمسكت بها فجأة و انتشلتها من الغرق قبل أن تحملها إلى الشاطئ و قد أظلمت الدنيا أمام عينيها و غابت عن الوجود و هي لا تشعر باليد القوية التي ضغطت على قفصها الصدري و أجبرت الماء الذي ابتلعه على التدفق إلى خارج جسدها لتستعيد قدرتها على التنفس قبل أن يهتف عزت في توتر :  
- حالتها سيئة جداً و يجب أن تذهب إلى المستشفى فلا يبدو أنها ستستعيد وعيها هكذا ببساطة .

عندما أفاق شيرين في المستشفى وجدت عزت واقفاً بجوار فراشها و هو ينظر إليها

في قلق قبل أن يلاحظ أنها قد أفاقت فتنهد في  
ارتياح و هتف :

- هل استعدتِ وعيكِ أخيراً ؟ .. حمداً لله على  
سلامتك يا أنسة .. خشيت للحظة أن نفقدك  
- لا قدر الله -

همست شيرين في ضعف :  
- كان هذا ليحدث لولا أنك أنقذت حياتي ..  
أشكرك .

ابتسم عزت و هتف :  
- لا شكر على واجب .. المهم هو أنك بخير  
يا أنسة .. تشعرين أنك بخير ؛ أليس كذلك ؟

تلفتت شيرين حولها في حيرة قبل أن تهتف :  
- أظن هذا و لكن .. أين أنا ؟ .. نحن في  
مستشفى ؟ .. و كم الساعة الآن ؟

هتف عزت في هدوء :  
- الساعة الآن قرابة منتصف الليل ؛ و قد  
اضطر الزملاء للعودة إلى القاهرة وفقاً  
لجدول الرحلة لكنني تخلفت عنهم لأطمئن

عليكِ .. أترغبين في أن أتصل على أحد من  
أهلك ليطمئن عليكِ ؟

حاولت شيرين أن تعتدل جالسة و هي تهتف :  
- هاتفني المحمول في حقبيتي .. أين هي ؟

مد يده لها و ساعدها على الجلوس و هو  
يهتف :

- هاتفك وحقبيتك و ثيابك في الحفظ و الصون ؛  
هذا إذا كنتِ قادرة على الجلوس و يمكنكِ  
الاتصال بوالدك .

ناولها الهاتف فاتصلت على والدها الذي  
أخبرها بأنه سيرسل لها سيارة في الصباح  
الباكر لتعيدها إلى القاهرة بعد أن أمطرها  
بسيل من التوبيخ لأنها لا تستمع له و تصر  
على الذهاب إلى شواطئ رخيصة لا يصح  
لمن كان في مركزها ارتيادها ..

أنهت شيرين المكالمة و التفتت إلى عزت  
و هي تبتسم هاتفئة :



- والدي قلق عليّ للغاية حتى أنه سيرسل سائقه الخاص ليطمئن عليّ .. هل يرضيك هذا يا عزت ؟

هتف عزت في استغراب :  
- هل تعرفين اسمي ؟ .. ظننت .. أعني أننا تقريباً لم نتحدث معاً من قبل قط .

هتفت شيرين و هي تمنحه ابتسامة ساحرة :  
- هذا صحيح .. لكنك الطالب الذي يحصل على امتياز و يسبقني في الترتيب على الدفعة ؛ و قد تفوتني فرصة التعيين في الكلية بسببك ؛ فكيف لا أعرفك ؟ .. أنت منافس خطير و قد تتحطم كل أحلام حياتي على صخرتك حتى أنني يحق لي أن أغار منك و لو قليلاً ؛ أليس كذلك ؟

فكر عزت في أنها فتاة لطيفة ؛ لم يكن يتخيلها لطيفة لهذا الحد من قبل ؛ حولها هالة من الكبرياء و الغرور كان يتخيل أن فتاة في مركزها من الطبيعي أن تتسم بها ؛ لكنها و هي تبتسم له تلك الابتسامة الساحرة لم يعد يستطيع التفكير في المسافات الكبيرة التي

تفصل بينهما ربما لأنه لم يعد يستطيع أن يراها .. ضحك عزت و هو يهتف :

- المنافسة بيننا ستستمر لآخر هذا العام و لن يتم حسمها ببساطة .. أنت فتاة ذكية و مجتهدة كثيراً يا أنسة شيرين و قد يجانبني الحظ في اللحظات الأخيرة و تسبقيني في الترتيب هذا العام .. مع أنني بصراحة أتمنى ألا يحدث هذا ؛ فقد تتحطم حياتي كلها لا أحلامي فحسب لو فاتني التعيين في الكلية فأنا أبني عليه أحلاماً عريضة يا أنسة .

هتفت شيرين باسمه :

- أنسة .. أنسة .. يبدو أن اسمي لا يروق لك .. أنا شيرين .. شيرين فحسب .. نحن زملاء في الكلية كما أنني أدين لك بحياتي .. ماذا أفعل كي أشكرك ؟

اتسعت ابتسامة عزت و هو يهتف :

- لست مضطرة للشكر فأنا فعلاً سعيد جداً بنجاتك يا .. شيرين .

جذب مقعداً و جلس بجوار فراشها يتحدثان حتى انبلج الصباح و أتت سيارة والدها

يقودها أحد السائقين العاملين لديه .. ركب  
عزت مع شيرين عائدين إلى القاهرة  
و أصررت على أن توصله السيارة إلى باب  
بيته في بين السرايات قبل أن تقلها إلى قصر  
والدها في المريوطية .

دخلت شيرين إلى القصر ووجدت حاتم جالسا  
في انتظارها ؛ حاول أن يقبل وجنتيها لكنها  
ابتعدت عنه و هي تهتف في ضيق :

- قلت لك من قبل أنك لم تعد في أمريكا .. هنا  
نتصافح باليد فحسب و لا ضرورة لهذا على  
كل حال .. كيف حالك يا حاتم ؟

هتف حاتم في قلق :

- المفروض أن أسألك أنا هذا السؤال .. أخبرني  
عمي منذ قليل أنك تعرضت لحادثة غرق  
و كدت أن تفقدي حياتك .. لماذا ذهبت  
وحدك ؟ .. لدينا شاليه في مارينا و آخر في  
السخنة و إذا أردت النزول إلى البحر كان  
يمكنني أن أذهب معك .

هتفت في اقتضاب :  
- شكراً .. لكنني أفضل الذهاب مع زملائي ..  
عن إذنك .

همت بالانصراف فهتف حاتم في لهفة :  
- إلى أين ؟ .. أود لو نتحدث معاً قليلاً ؛ هناك  
الكثير أتمنى لو أجد الفرصة لأشرحه لك  
يا شيرين ؛ لكنكِ تتجاهلينني منذ عدت من  
أمريكا .. لماذا لا ...

قاطعته شيرين هاتفة في ضيق :  
- عدت من أمريكا منذ ثلاث سنوات يا حاتم  
و لم تجد سوى الآن لنتحدث .. أسفة .. أنا  
لازلت مرهقة من تأثير الحادث و السفر  
و لم أنم طوال الليل و أرغب في أن أرتاح في  
غرفتي .. هذا إذا لم يكن حديثنا الآن جبري  
بفرمان أصدره أبي ؛ فإطاعته ستكون لديك  
أهم من راحتي .. أليس كذلك ؟

انسحبت إلى غرفتها دون أن تبالي بنظرة  
الضيق في عيون حاتم و ربما لم ترها فقد  
كان ذهنها منشغلاً بالتفكير في الشاب الذي  
أنقذ حياتها بكل جرأة ؛ و ظل بجوارها في

المستشفى بكل شهامة ؛ وعاملها بحنان لم تكن معتادة على أن يعاملها به أي شخص .. خاصة أبوها و حاتم .. و لم يبدُ أنه حتى يدرك كم كان تصرفه معها شجاعاً و رقيقاً و كم أثر بها و ملك عواطفها و أيقظ في قلبها شعوراً غريباً لم تعرفه من قبل قط .

في الصباح التالي عندما ذهبت إلى الكلية و دخلت إلى قاعة المحاضرات بحثت عيونها عنه في الركن البعيد الذي اعتاد على أن يجلس به .. ابتسمت عندما رأته و أسرعت نحوه و وقفت بجواره و هي تهمس :

- ءأجد لي مكاناً بجوارك ؟ .. القاعة مزدحمة كثيراً اليوم و هذا هو المكان الوحيد الذي يروق لي .. هذا لو لم يكن وجودي هنا يزعجك .

- أتاح لها مكاناً لتجلس به بجواره و هو يهتف : المدرج للجميع يا شيرين و يمكنك الجلوس هنا كما ترغبين ؛ لكنني لا أفهم ما الذي أتى بك إلى الكلية اليوم .. كان من الأفضل لو حصلت على بعض الراحة و لا تحملي هم المحاضرات فيمكنني أن أنسخها لك .

جلست و هي تهتف :

- اطمئن فأنا فعلاً بخير .. بفضلك .. كما أنني أود أن أمنحك شيئاً يذكرك بشهامتك معي .. هذه .

ناولته قداحة فضية منقوش عليها اسمها  
و تاريخ يوم الرحلة ؛ فابتسم عزت و وضعها  
في جيب سترته و هو يهتف :

- سأحتفظ بها لتذكرني دوماً بك ؛ و لكنني لا أعدك بأن أستخدمها فأنا لا أدخن .

ابتسمت هاتفة :

- هذا حالياً ؛ لكنك قد تفعل في يوم من الأيام ..  
و المهم هو أن تتذكرني بها فأنا لن أنساك أبداً  
و أتمنى لو أنك أيضاً لن تنساني .

أفاقت شيرين من شرودها و مسحت دموعه  
سالت على أهدابها و هي تفكر في أنه قد  
أصبح مدخناً لكنه لا يستخدم قداحتها .. هل  
تخلص منها ليتخلص من ذكرى كل ما جمع  
بينهما ؟ ؛ هل رماها لأنها لم تعد تعني شيئاً له  
تماماً مثل من أهدتها إليه ؟ .. لا .. لا تصدق

أنه قد نساها بهذه السهولة فما بينهما أكبر  
و أعمق و أعز من أن يتم تجاهله أو نسيانه .

نظرت إلى عقارب الساعة التي أشارت إلى  
تمام الثامنة مساءً و زفرت في حرارة ؛ قبل  
أن تضع نظارتها المعتمدة على عينيها لتخفيها  
.. لكن الدموع ظلت تتلأأ فيهما دون أن  
تنهمر .

## الفصل الثالث

دخلت السكرتيرة إلى مكتب شيرين و هتفت :

- محامي يدعى عزت المحلاوي يرغب في مقابلتك يا دكتورة و يقول أن لديه موعد مسبق ؛ فهل أسمح له بالدخول ؟

فكرت شيرين في أن عزت لا زال دقيقاً في مواعيده كما كان دائماً و أنه ربما يكون الشيء الوحيد الذي تغير به طوال السنوات الماضية هو عواطفه نحوها .. ألمتها الفكرة كثيراً لكنها تظاهرت بالهدوء و هي تهتف :

- دعيه يدخل .. اسمعي .. لا أريد مكالمات حتى تنتهي زيارته .. لا أريد إزعاج من أي نوع .

خرجت السكرتيرة و دخل عزت بسرعة ؛ نظر في أرجاء المكتب الفخم في فتور قبل أن يهتف :

- مساء الخير يا دكتورة .. أظن أنني قد أتيت في الموعد تماماً ؛ أليس كذلك ؟



أشارت إليه بالجلوس وهي تتمتع :  
- دقتك في مواعيدك ليست جديدة يا أستاذ عزت  
.. تفضل بالجلوس .. ماذا تحب أن تشرب ؟

جلس عزت و هو يهتف :  
- قهوة بدون سكر .. هل ندخل في صلب  
الموضوع مباشرة يا دكتورة ؟ .. فأنا لا أحب  
إضاعة وقتك الثمين .

طلبت لهما شيرين القهوة قبل أن تهتف :  
- قلت أن هناك قضية سنقف فيها أو بالأحرى  
لا تريد أن تقف فيها كخصم لي ؛ فهل من  
الممكن أن أفهم ما هو مضمون القضية  
بالضبط ؟ .. و هل تخصني أم تخص أحداً  
من عملاء مكنتي ؟

فتح عزت حقيبته و أخرج منها ملفاً وضعه  
أمامها و هو يهتف :  
- الاثنان معاً .. تخص زوجك وموكلك حاتم  
سعيد و تخصك باعتبارك شريكة له في كل  
شركاته .

غامت عيونها و هي تهتف في ضيق :  
- حاتم ؟ .. ماذا فعل هذه المرة ؟

رفع عزت حاجبه على نحو يوحي بأنه قد لاحظ ما بدا واضحاً من لهجتها بأن حاتم يتورط في المشاكل باستمرار .. لكن عزت لم يعلق على هذا و هو يهتف في جدية :  
- لديكم مصنع في العاشر من رمضان لانتاج الأدوات المنزلية .. الباشمهندس طرد خمسين عاملاً من عماله دفعة واحدة و بدون إبداء أسباب و تقاعس عن دفع المكافآت القانونية المنصوص عليها في عقودهم .. و أنتِ تعرفين يا دكتورة أن قانون العمل واضح في مسألة الفصل التعسفي و أن ....

قاطعته شيرين هاتفية :  
- أعرف تماماً ما ينص عليه قانون العمل يا عزت ؛ وؤكد لك على أن قرار الفصل هذا لم يتم عرضه عليّ رغم أنني المستشار القانوني لمجموعة شركاتنا .. على كل حال امنحني ثلاثة أيام فحسب و أعدك بأنني سأحل المشكلة و استرضي العمال بدون أن

يضطروا إلى الدخول في متاهات القضاء ..  
هل هذا مناسب ؟

ابتسم عزت و هتف :

- جداً .. يبدو أن لك ثقل في إدارة المجموعة  
و سلطة على الباشمهندس تعطيك هذه الثقة  
في التسوية و حسم الأمور .. هذا مثير جداً  
في الواقع .

لم تخفى عليها رنة السخرية في صوته ؛  
فهتفت في عصبية :

- هذا ليس مثاراً للسخرية يا عزت ؛ أنا شريك  
بالنصف في كل شيء و قرار كهذا لا يستطيع  
حاتم تمريره بدون موافقتي عليه و يمكنني  
إلغاؤه بكلمة واحدة .. عمالك سيعودون إلى  
أماكنهم و سيصرفون أجورهم عن مدة الفصل  
بالكامل كما لو كانوا في العمل .. يمكنك أن  
تبلغهم بهذا على لساني فأنا أعرف ما أحدث  
عنه و سأفي بكلمتي .

دخل الساعي إلى المكتب و وضع القهوة  
أمامهما قبل أن ينصرف بسرعة و يغلق باب  
المكتب خلفه .. حمل عزت قدح القهوة

و ارتشفها ببطء و هو يتأمل شيرين .. نظراته  
الثاقبة لها كانت تجعلها تشعر بالتوتر قبل أن  
تهتف :

- إذا تركت لي رقم هاتفك سأتصل بك و أبلغك  
متى يمكنهم استئناف عملهم .

وضع عزت قدح القهوة الفارغ على المكتب  
قبل أن يهتف :

- تغيرت يا شيرين .. أين الفتاة الضعيفة التي  
استسلمت و ضحت بحب عمرها بسهولة دون  
أن تأسف عليه ؟

كادت أن تهتف في لوعة :

- أنا لم أضحي بك ؛ أنا ضحيت من أجلك .

لكنها ابتلعت تعقيبتها و أخفت لوعتها ؛ و ظلت  
تتظاهر بالهدوء و هي ترشف قهوتها قبل أن  
تهتف :

- لا شيء يظل على حاله يا عزت .. التغيير  
هو سنة الكون .

أوما عزت برأسه إيجاباً في تفهم وكأنه  
يوافقها على ما تقول .. قبل أن يهمس :

- لديك حق .. التغيير سنة الكون و لست  
الوحيدة التي تغيرت .. كلنا تغيرنا يا شيرين  
.. تغيرنا بشدة .

أرادت أن تهتف بأنها تعرف بأن عواطفه  
نحوها قد تغيرت منذ سنين .. منذ نبذ حبهما  
خلف ظهره وتزوج من صديقتها الوحيدة  
و سافر معها إلى الكويت لكنها لم تفعل .. بل  
طرقت سطح المكتب بأظافرها في توتر قبل  
أن تهتف :

- أظن أننا قد حسنا الموضوع و سنجد تسوية  
مناسبة دون أن نقف كخصم لي في المحكمة  
كما ترغب .. و آسفة لأنني مضطرة لإنهاء  
المقابلة فجذولي مزدحم جداً و لدي مواعيد  
أخرى .

أخرج عزت ورقة من حقيبته و ألقاها على  
سطح المكتب أمامها و هو يهتف في برود :  
- آسف لكنك مضطرة لتأجيل مواعيدك و إرباك  
جدولك يا دكتورة فأنا لم أنتهِ بعد .. هناك  
قضية أخرى تخص حاتم سعيد و لا أظن أنكِ  
سترغبين في أن تثار في المحاكم .. عموماً ..  
بعد أن رأيت ثقتك في قدرتك على التحكم به

و فرض رغباتك اظن أنني أستطيع أن أجعلك  
طرفاً فيها ؛ فهذا سيغنيينا عن إجراءات  
تقاضي طويلة و معقدة .

عقدت شيرين حاجبها بشدة ؛ و هي تقرأ  
الورقة في تركيز شديد قبل أن تلقها على  
سطح المكتب و هي تهتف في حدة :  
- ما هذا الهراء ؟

هتف عزت في برود :  
- كما قرأت تماماً يا دكتورة .. هذه صورة  
ضوئية من عقد زواج عرفي بين زوجك  
حاتم سعيد و فتاة كانت تعمل بمصنعه  
و فصلها ضمن من فصلهم تعسفياً .. الفتاة  
وكلتني لتوثيق عقد الزواج بالشهر العقاري  
و لا صعوبة في ذلك فكما ترين العقد عليه  
شهود .. وقع كل منهما على الورقة و دون  
رقمه القومي ؛ وإثبات الزوجية في هذه الحالة  
سهل و في منتهى البساطة .

نهضت شيرين و هي تهتف في توتر :  
- ما الذي تريده بالضبط يا عزت ؟

استرخى عزت في مقعده و هو يهتف في  
هدوء :

- هل صدمتك الخيانة ؟ .. كما تدين تدان .

شعرت بأنه قد طعنها في قلبها بمنتهى القسوة  
؛ ليس من حقه أن يتهمها بالخيانة بعد كل ما  
تحملته لأجله .. جلست شيرين وهمست :

- الفتاة تغرر بك .. هذا العقد لا يمكن أن يكون  
حقيقياً .

هتف عزت في حدة :

- زوجك الفاضل هو الذي غرر بها .. الفتاة لا  
تزال في السادسة عشر من عمرها أي أنها  
قاصر يا دكتورة ؛ و أنتِ تعرفين حكم القانون  
في مواجهة قاصر و لو برضاها و لست في  
حاجة لمن يذكرك بهذا ..

هتفت شيرين في توتر :

- اسمع يا عزت .. أنا لا أفهم ما الذي تسعى  
بالضبط لإثباته ؛ لكنني أؤكد لك على أن هذه  
الفتاة نصابة .. هي لا يمكن أن تكون عشيقة  
حاتم أو زوجته أو أي شيء من هذا القبيل ..  
هذه كذبة سخيفة وملفقة .

نهض عزت و أغلق حقيبتة و هو يهتف :  
- في هذه الحالة أظن أننا سنلتقي في ساحة  
القضاء للأسف يا دكتورة .. و على فكرة ..  
امثال حامل و إثبات نسب الطفل في وجود  
عقد الزواج العرفي لن يكون صعباً حتى لو  
اضطررنا إلى إجراء تحليل الحمض النووي .  
  
امتع وجهها بشدة و هي تتابعه ببصرها و هو  
يغادر مكتبها .



## الفصل الرابع

ما إن غادر عزت مكتب شيرين حتى طوت صورة العقد العرفي و وضعتها في حقيبة يدها الأنيقة و غادرت المكتب بدورها و عادت إلى القصر ..

لم يكن حاتم قد عاد بعد لذا ذهبت إلى غرفة نومها و جلست مستلقية في فراشها و شرد عقلها بعيداً و هي تفكر في الرجل الذي أصبح بعيداً جداً عنها بعواطفه رغم أنها لا تستطيع أن تنكر أنه كان في يوم من الأيام أقرب ما يكون إليها .

عاشت أجمل أيام حياتها و هي تجلس بجوار عزت في المدرج أو في المكتبة وهما يذاكران محاضراتهما معاً أو يتحدثان لمأماً في أي موضوع آخر .. كانا يتحدثان حول كل شيء عدا العاطفة التي نبتت فجأة من العدم و ترعرعت بسرعة و لم يكن أحدهما مستعداً للاعتراف بها أو الاستسلام لها حتى أتى ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلى الكلية و لم يكن عزت ينتظرها كالعادة .

بحثت شيرين في كل أرجاء الكلية لكنها لم تعثر عليه ؛ و كذلك فعلت في اليوم التالي و اليوم الذي يليه حتى كادت أن تفقد عقلها لوعةً لفراقه وخوفاً عليه ؛ لم يكن هناك من يعرف أخباره لأنه لم يكن يتحدث مع أحد تقريباً سواها ؛ لذا لم تعرف كيف يمكنها أن تعرف أين هو و لا لما لا يأتي إلى الكلية كالعادة .

في اليوم الرابع كان قلبها يتوجع بشدة و قد استبد بها الخوف و القلق و هداها عقلها إلى أنه لم يعد أمامها سوى أن تذهب للسؤال عنه في البيت الذي أوصلته بسيارتها إليه يوم عودتهما من الاسكندرية .. سألت عن شقته و عرفت أنه يقيم في شقة صغيرة فوق سطح البيت مفروشة ومؤجرة لعدد من الطلبة المغتربين .

ترددت شيرين كثيراً قبل أن تصعد الدرج إلى الشقة التي كان بابها مفتوحاً فدخلت إليها بخطى مترددة و هي تنادي باسمه .. عندما سمع عزت صوتها هب من الفراش و هو يتألم و خرج إلى الردهة و هو يهتف في حدة :

- ماذا تفعلين هنا ؟ .. هل فقدت عقلك ؟

نظرت إلى وجهه الشاحب الذي أغرقه العرق  
لمجرد أنه قد غادر الفراش و سار خطوتين  
ليصل إليها ؛ كان يضع كفه على موضع  
الجرح الذي في جانب بطنه و هو يردف :

- يجب أن تذهبي الآن و بسرعة ؛ هذه شقة  
عزاب يا شيرين .. ماذا إذا عاد أحدهم  
و رأيكِ ؟ .. ماذا إذا رأيك أحد من الجيران ؟  
.. ألم تفكري في سمعتك قبل أن تتصرفي  
بهذه الحماسة ؟

طردها دون أن يعطيها فرصة لتعرف ما  
أصابه أو لتطمئن عليه ؛ انهمرت دموعها  
و أغرقت وجهها و هي تغادر الشقة و تعود  
إلى القصر ..

قضت ليلة طويلة مضنية و هي مسهدة  
تتساءل في تعاسة عما ألم به .. بدا لها مريضاً  
جداً و بالكاد يستطيع الوقوف على قدميه حتى  
أنها شعرت بالذهول عندما ذهبت إلى الكلية  
في اليوم التالي و وجدته يجلس في المدرج  
ينتظرها كالعادة .

أسرعت شيرين تجلس بجوار عزت و هي  
تهتف في لهفة :  
- ءأنت بخير ؟ .. ماذا ألم بك ؟

هتف عزت مبتسماً :  
- اطمئني .. مجرد جراحة صغيرة لاستئصال  
الزائدة الدودية و مرت على خير .. أو ستمر  
تماماً بعد أن يلتئم الجرح و يكتمل علاجي .

هتفت في لوعة :  
- ما كان يجب أن تغادر البيت بهذه السرعة  
و الجرح لم يلتئم بعد .. يجب أن ترتاح في  
فراشك حتى يطيب جرحك .

ربت على كفها و هو يهمس :  
- كان يجب أن أراك و أعتذر إليك .. عاملتك  
بقسوة بالأمس رغم أن كل ما أردتیه هو أن  
تطمئني عليّ .. لكنني معذور .. لا أريد أن  
يسبئ إليك أحد و لو بكلمة .

أشرقت عيونها بابتسامة و تضرع وجهها  
بالحمرة ؛ فأخرج عزت قلادة فضية على

شكل قلب و وضعها في كف يدها و هو  
يهمس :

- اقبلي هذا القلب كهدية مني لأصدق بآنك قد  
قبلت اعتذارى .

وضعت القلب حول رقبتها و هى تهتف فى  
سعادة :

- سأضعه حول رقبتى لآخر عمري .. لا أحد  
سينتزعه منى إلا و أنا ميتة .

تنهدت شيرين فى حرارة و هى تفيق من  
شرودها ؛ وقفت أمام المرأة و تأملت القلادة  
التي تتدلى حول عنقها ؛ لا تزال فى رقبتها  
منذ ذلك اليوم و لم تنتزعها قط حتى بعد  
زواجها من حاتم ..

التفكير فى حاتم جعلها تنظر فى ساعة يدها  
التي أشارت إلى منتصف الليل و تنبعت إلى  
أنه لم يعد بعد .. يجب أن تتحدث معه  
و بسرعة و لا يمكنها الانتظار إلى الغد لذا  
أمسكت بهاتفها و اتصلت عليه عدة مرات  
دون جدوى ..

كان الهاتف يرن بلا انقطاع لكن حاتم تجاهل  
كل اتصالاتها على غير العادة و لم يجب  
عليها .

نزلت شيرين إلى ردهة القصر و جلست في  
انتظاره حتى عاد بعد الفجر و هو يترنح  
و رائحة الخمر تفوح منه ؛ نظرت إليه في  
ضيق و هتفت :

- اتصلت بك لعشر مرات على الأقل .. أين  
كنت لهذه الساعة ؟ .. و لماذا تتجاهل  
اتصالي ؟

وضع حاتم يديه على خصرها و هو يهتف :

- هل اشتقت إليّ أخيراً ؟

أزاحت شيرين يديه عنها و هي تهتف في  
حدة :

- لا تجب على سؤالي بسؤال يا حاتم .. يجب  
أن نتحدث معاً .

ظهرت نظرة ألم في عيني حاتم اختفت  
بسرعة و هو يهتف في برود :

- و منذ متى كنت أتجاهل اتصالك يا شيرين ؟  
.. كنت في سهرة مع مستثمرين أجانب في  
ملهى ليلي و لم أسمع رنين الهاتف ؛ لكن ..  
لماذا تسألين ؟ .. منذ متى و أنت تهتمين بي  
أو بما أفعل يا دكتورة ؟

هتفت شيرين في سخط :

- منذ تفاقمت مشاكلك و أصبحت مضطرة  
لمواجهتها بسرعة قبل أن تصل إلى ساحات  
المحاكم .

ابتعد عنها حاتم و تسلق الدرج و هو يهتف :  
- ساحات المحاكم هي وطنك المفضل  
يا عزيزتي .. أجلي الحديث للغد فأنا أكاد أن  
أنام على الدرج .

هتفت شيرين و هي تمط شفيتها :

- سأؤجله حتى تفيق و سأنتظرك في مكتبي غداً  
.. أتمنى ألا تكون مخموراً للحد الذي يجعلك  
تنسى هذا .

صعدت شيرين إلى غرفة نومها و صفقت  
الباب خلفها بعنف ؛ حاولت أن تنام لكنها لم

تستطع أن تفعل ؛ كانت متوترة للحد الذي جعل النوم يفر من عيونها وجعلها عصبية بشكل واضح عندما ذهبت إلى مكتبها في الصباح التالي ؛ طلبت من سكرتيرتها أن تمنع كل المكالمات و تلغي كل مواعيدها و تنكر وجودها في المكتب و جلست تنتظر أن يأتي حاتم لمقابلتها كما طلبت منه لكنه لم يفعل ؛ و عندما أشارت عقارب الساعة إلى الثانية ظهراً اتصلت عليه هي و هتفت في حدة :

- أظن أنني سأظل أنتظرِكَ إلى قيام الساعة ؟

هتف حاتم في حيرة :

- تنتظريني أنا ؟ .. لما ؟ .. و منذ متى كنت تنتظريني أو تحسين بوجودي من الأساس يا شيرين ؟

زفرت شيرين في حرارة و هتفت :

- من الواضح أنك كنت مخموراً بالفعل و نسيت الحديث الذي جرى بيننا فجر اليوم .. هناك مشكلة كبيرة يجب أن نناقشها معاً و أمور علينا حسمها يا حاتم .. طلبت منك أن تأتي إلى مكنتي عندما تفيق .



هتف حاتم بسرعة :

- آسف يا شيرين .. يبدو أنني بالفعل كنت مخموراً أكثر من المعتاد .. أنا في مكنتي ؛ هل آتي إليك الآن ؟

هتفت شيرين قبل أن تقطع الاتصال :

- بل انتظرنن .. أنا في طرقتي إليك .

ذهبت شيرين إلى المقر الإداري للشركات التي يتقاسمان ملكيتها معاً ؛ دخلت إلى مكتبه و هي تهتف في حزم :

- اطلب لنا القهوة و امنع المكالمات .. لا أريد أن يقاطعنا أحد حتى انتهى من حديثي معك .

أطاعها بسرعة قبل أن يهتف في قلق :

- ماذا هناك يا شيرين ؟ .. أنت عصبية و متوترة و هذه ليست عادتك .. هل لديك مشكلة ؟

هتفت شيرين في حدة :

- أنت مشكلتي يا حاتم .. كيف تأخذ قراراً بفصل خمسين عاملاً دفعة واحدة دون أن

ترجع إليّ أو تستشيرني ؟ .. أنا شريكك  
يا حاتم و قرار خطير كهذا لم يكن من حقك  
أن تنفرد به دون حتى أن تخبرني ؛ كما أنه  
قرار غير انساني ولا قانوني و يجب الغاؤه  
فوراً و إلغاء كل ما ترتب عليه .

هتف حاتم في حدة :

- و منذ متى و أنتِ تتدخلين في هذه الأمور ؟  
.. منذ سافر عمي و أنا أنفرد برئاسة  
المجموعة و أنتِ وافقتِ على هذا يا شيرين .

هتفت شيرين في سخط :

- و هل تدبر المجموعة بمثل هذه القرارات  
الحمقاء ؟ .. أنتِ ستورطنا في مشاكل مع  
مكتب العمل و التأمينات و خصومة مع  
الحكومة ستؤثر على سمعتنا و تضر  
بمصالحنا على طول المدى .. إذا أردت  
تطوير المصانع أو تخفيض عمالتها كان عليك  
أن ترجع لي أولاً قبل اتخاذ أي قرار .. و كان  
عليك استرضاء العمال و الوصول إلى تسوية  
مرضية معهم ؛ لا أن تذبذبهم بقرار سيخرب  
بيوتهم و يثير جنونهم على هذا النحو .

شرب حاتم قهوته و هو يتأملها في صمت قبل  
أن يتصل على شئون العاملين و يأمرهم  
بالغاء القرار .

## الفصل الخامس

أنهى حاتم الاتصال ثم التفت إلى شيرين و نظر إليها  
هاتفاً :

- اعتبري القرار كأن لم يكن ؛ هل أنتِ راضية  
الآن ؟ ..

ظلت صامته فتنهد حاتم في حرارة قبل أن  
يردف :

- لم نتحدث معاً منذ شهور يا شيرين .. هل  
يجب أن أفصل باقي عمال المصانع لتجدي  
وقتاً لي ؟

أخرجت شيرين صورة العقد العرفي من  
حقيبة يدها و وضعتها أمامه ؛ قرأ حاتم  
الورقة و اكفهر وجهه و هتف في حدة :  
- ما هذا ؟

هتفت شيرين في هدوء :  
- أنت قل لي ما هذا يا حاتم .. التوقيع على  
العقد توقيعك كما أنها مكتوبة بخط بيدك لكنني  
لا زلت لا أفهم .. ما معنى هذا يا حاتم ؟

هتف حاتم في توتر :  
- كيف وصل هذا العقد إليك ؟

هتقت شيرين في ضيق :  
- و هل هذه هي المشكلة الآن ؟ .. البننت التي  
تورطت معها لجأت إلى محامي أعرفه منذ  
سنين ؛ و هو حاول توسيطي لإنهاء المسألة  
بشكل ودي قبل اللجوء إلى المحاكم .. أنا  
و أنت في غنى عن أية شوشرة أو فضائح و  
لن تكون سعيداً جداً عندما يتم رفع دعوة كهذه  
ضدك و تبدأ الصحف في التشهير بك و بي .

نهض حاتم من خلف مكتبه و دار حول  
المكتب ليجلس على المقعد المواجه لها قبل أن  
يهتف :

- هل هذا هو كل ما تهتمين به ؟ .. الشوشرة  
و الفضائح التي يمكن أن تؤثر على سمعتك  
يا دكتورة .. و أنا يا شيرين ؟ .. زوجك ؟ ..  
ألا يغضبك أنني من الممكن أن أكون على  
علاقة مع فتاة كهذه من خلف ظهرك ؟

هتفت شيرين في هدوء :

- كلانا يعرف أن الفتاة أفاقة يا حاتم و أن كل ما تدعيه مجرد أكاذيب .. أعلم أن توقيعك على العقد ليس مزوراً و لا أعرف كيف حصلت عليه لكنها تبادت و تدعي أنها حامل .. أعرف جيداً أنك لم تتورط معها في علاقة و أنك لست مسؤولاً عن هذا الحمل .. المشكلة هي أننا لن نكون سعداء و نحن نقف في ساحات المحاكم و نشرح للقضاة لما أنت برئ من هذا الاتهام كبراءة الذنب من دم ابن يعقوب .. سوي المسألة مع الفتاة يا حاتم .. بهدوء و بدون شوشرة .. هي تبتزك لتحصل على بعض المال و هذه ليست مشكلة .. ادفع لها ما تريده و انهي المسألة .

احتقن وجه حاتم بشدة ؛ للحظة كان يتمنى أن يصفعها بشدة و يخبرها بكم هي حمقاء وعمياء ولا تريد أن ترَ الحقيقة .. أراد بشدة أن يذكرها بأنه زوج و له حقوق تهاون كثيراً في المطالبة بها حتى نست أنها موجودة .. أراد أن يصرخ في وجهها لكن صوت صراخها الذي لا زال يرن في أذنيه منذ سنين كبّله وجعله يكتم كل غضبه و ثورته في قلبه

الذي لا زال يتألم منها و لأجلها قبل أن  
يهتف :

- دعي هذا الأمر لي يا شيرين وأنا سأفهم  
معاها .

غادرت شيرين مكتب حاتم بعد أن وعدّها بأن  
يستعيد أصل العقد من الفتاة و ينهي خلافه  
معاها ؛ لم تكن ترغب في العودة إلى مكتبها  
كما لم تكن ترغب في الذهاب إلى القصر ؛  
كانت لا تزال تشعر بالتوتر كما أنها تنبهت  
إلى أنها لم تتناول و لا لقمة واحدة منذ الأمس  
لذا ذهبت إلى أحد المطاعم .

جلست شيرين إلى مائدة في طرف المطعم ؛  
طلبت الطعام الذي أسرع النادل لإحضاره قبل  
أن تقاجأ بالرجل الذي وقف بجوار المائدة  
و هو يهتف :

- اجتماعك مع الباشمهندس انتهى بأسرع مما  
توقعت .. هل حسمت الأمور معه بهذه  
السرعة ؟

رفعت شيرين عيونها إلى عزت و هتفت في  
ضيق :

- هل تراقبني ؟

جلس عزت على المقعد المواجه لها و هو  
يهتف مبتسماً في استخفاف :

- فكرة مشوقة لكنها ليست مطابقة للواقع .. كل  
ما في الأمر هو أنني رأيتك صدفة و أنا أهم  
بمقابلة الباشمهندس حاتم ففضلت إرجاء  
المقابلة حتى أرى ما الذي وصل إليه اجتماع  
القمة بينكما .

حاولت شيرين أن تسيطر على ارتجاف  
جسدها و أن تتظاهر بالهدوء و هي تهتف :  
- أتناول غداءك معي ؟

هتف عزت في برود :  
- لا .. سأكتفي بالقهوة .. لم نأكل معاً منذ سنين  
؛ و أنا لن أكرر هذا مع الناس الذين بت أعلم  
جيداً أن العيش و الملح لا قيمة لهما لديهم .

لمعت الدموع في عيون شيرين بينما تأملها  
عزت في برود ؛ كان يعلم أنه يوجعها بكلامه  
لكنه لم يرغب في أن يتراجع حتى و هو يرى  
بريق الدموع في عينيها ؛ توجع كثيراً بسببها



و لا زالت جراح غدرها غائرة في قلبه و لن  
يستطيع أن يسامحها عليها و بالتأكيد لن  
يرغب في أن يرحمها .

انتزعت شيرين النظارة عن وجهها  
و وضعتها على المائدة أمامها قبل أن تهتف  
في توتر :

- اسمع يا عزت .. أنا أعرف كم أنت غاضب  
مني .. أعرف أنني جرحتك ذات يوم ..  
أعرف أنك ربما تكره الفتاة التي تخلت عنك  
و تزوجت رجلاً غيرك .. لكنك لا تعرف  
الظروف التي مررت بها و لم يعد هناك  
مجال لشرحها .. كل ما بيننا أصبح من  
الماضي الآن و لا داعي لأن تذكرني به كلما  
نظرت في وجهي لأنني بالفعل لم أنساه ..  
لكن .. دعنا لا نأتِ على ذكره .. بيننا قضايا  
معلقة يجب أن نناقشها و قضية حبنا لم تعد  
واحدة منها .

أشعل عزت سيجارة و نفث دخانها و هو  
يتأملها قبل أن يهتف :

- قضية حبنا ليست معلقة يا دكتورة فقد  
حسمتها منذ سنين .. منذ أصدرت الحكم

بإعدام حبنا بنفسك و نفذتيه .. و لا أظنك قد  
ندمتِ على هذا و لا للحظة واحدة حتى الآن .

هتقت شيرين و توترها يزداد :

- أرجوك يا عزت كف عن نبش الماضي لو  
سمحت .. أنت رجل متزوج الآن و ربما  
لديك أولاد و أنا .. أنا أيضاً لديّ حياتي و لا  
أرغب في تعقيدها .. دعنا نركز على العمل  
.. حاتم ألغى قرار الفصل و يمكنك أن تخبر  
موكلينك بأن بوسعهم استئناف عملهم غداً  
بنفس المكان و الراتب و المزايا و من منهم  
يرغب في إنهاء خدمته يمكنه أن يتصل بي  
و سأصل إلى تسوية مرضية معه .

صفق عزت بيديه قبل أن يهتف :

- رائع يا دكتورة .. كنت واثقاً من أنكِ  
ستحسمين هذه القضية بسرعة فأنتِ ماهرة في  
حسم القضايا .

حاولت شيرين إشعال سيجارة بيد ترتجف  
و هي تهتف :

- عزت أرجوك .. كفى ضغطاً على أعصابي  
.. أنا لم أتم جيداً و لن أحتمل أسلوب السخرية  
هذا أكثر من هذا .

التقط عزت القداحة من يدها و أشعل لها  
السيجارة وهو يهتف :

- أنا لا أسخر منك يا دكتورة .. أنا فقط أعبر  
عن انبهاري .. و القضية الثانية ؟ .. هل  
حسمتها بنفس البساطة ؟

نفثت شيرين نفساً طويلاً من السيارة لكن  
هذا لم يقلل توترها بل ازداد و هي تهمس :

- قضيتك محسومة و خاسرة من قبل أن ترفعها  
يا عزت .. الفتاة أفاقة و تحاول استغلالك في  
ابتزاز حاتم وتوريطه ليس إلا .. دع نفسك  
خارج هذا الموضوع و حاتم سيصل إلى  
تسوية مرضية معها و ينتهي الأمر .

هتف عزت في سخط :

- أتقصدين تسوية مالية ؟ .. أعراض الناس  
ليست لعبة يا دكتورة و لن يستطيع زوجك  
السافل التسويق أو المساومة عليها .. الفتاة  
و الطفل الذي ستجبه لهما حقوق لن يستطيع

زوجك التنصل منها و سيتحمل مسئوليته  
نحوها كاملة سواء برغبته أو رغم أنه .

هتقت شيرين في عصبية :

- حاول استيعاب الأمر يا عزت و لا تتساق  
خلف أكاذيب تلك الأفاقة .. حاتم برئ .. لكنه  
سيدفع لها كل ما تطلبه منه اتقاءً للفضائح  
و الشوشرة ليس إلا .

النظرة التي في عيون عزت صعقتها ؛ هل  
كانت ترى ألماً دفيناً يختفي خلف قناع  
الغضب و هو يهتف :

- كيف تصدقينه بعد أن رأيت العقد بعينيك  
و هو ممهور بتوقيعه ؟ .. ألهذا الحد قد  
أعماك ؟ .. هل تحببته إلى درجة الغباء  
يا دكتورة ؟

أطفأت شيرين السجارة في عصبية و هي  
تهتف :

- الموضوع ليس له علاقة بالحب أو الكره  
يا عزت .. كل ما في الأمر هو أنني أعرف  
ما الذي يستطيع أن يفعله حاتم و ما الذي  
سيقف عاجزاً أمامه و لن يتمادى به .. حاتم

ليس مسئولاً عن حمل تلك الفتاة و أنصحك  
بألا تمضي في اجراءات التقاضي لأنك إذا  
رفعت الدعوى بالفعل ستجعلني مضطرة  
للوقوف أمامك في المحكمة وهذا ما لا أرغب  
في حدوثه .

هتف عزت في سخرية :

- ستكون هذه سابقة لا مثيل لها يا دكتورة ..  
زوجة مغفلة تدافع عن زوجها الخائن بكل  
سذاجة .. لا أظن أنك من الممكن أن ترتكبي  
حماقة كهذه يا دكتورة .. فهذا سيؤثر على  
سمعتك و سيشكك موكلينك في سلامة حكمك  
و تقديرك للأمور و ستجعلين من نفسك  
أضحوكة و لا أظن أنك ستحبين هذا .

أردف فجأة في عدوانية واضحة :

- أم أنك تحبينه للحد الذي يجعلك تضحين بكل  
شيء لأجله و تحطمين مصداقيتك و مستقبلك  
المهني ؟

التقطت شيرين كوباً من الماء و تجرعت ما  
به قبل أن تعيد وضع النظارات على عينيها  
ثم همست :

- لم أتزوج حاتم لأنني أحبه و لم أحبه بعد  
الزواج .. تزوجته لأنني كنت مضطرة ..  
الظروف لم تترك أمامي خياراً آخر .. أعرف  
أنك لا تسامحني على هذا و لن تسامحني أبداً  
و لكن .. غضبك مني و سخطك من زواجي  
لا يجب أن يكون لهما تأثير في حكمك على  
حاتم .. امنحه فرصة لو سمحت .. اتركه  
يتفاوض مع الفتاة بعيداً عن المحاكم .. قبل  
كل شيء هي صاحبة الشأن و أدرى بصالحها  
و إذا لم تشجعها على الدخول في متاهات  
القضاء لن يكون من الصعب على حاتم  
إقناعها بقبول التسوية .

## الفصل السادس

تجرع عزت ما تبقى في قدح القهوة و هو يتأمل  
شيرين ؛ يرى في عينيها أن ظهوره المفاجئ في  
حياتها يوترها و يكاد أن يحطم أعصابها ؛ لكن هل  
معنى هذا أنها كانت سعيدة طوال السنوات التي ابتعد  
فيها عن طريقها ؟ .. لا يريد عزت أن يصدق أنها  
ربما وجدت سعادتها مع رجلٍ غيره .. رجل أعطته  
كل ما كانت قد وعدته به و تنكرت له و لحبه .. يريد  
أن يخنقها لكن العواطف التي لا تزال تستعر في قلبه  
تكبله رغم أن هذه العاطفة هي نفسها ما تجعل غضبه  
منها يتزايد و لا يريد أن تنطفئ ناره أبداً .

همست شيرين في توتر :

- ماذا قلت يا عزت ؟ .. هل ستتحنى عن  
موضوع امتثال و تمنح حاتم فرصة للفهم  
معه ؟

وضع عزت قدح القهوة الفارغ على المائدة  
وهتف في هدوء :

- ليس بهذه البساطة .. يجب أن أضمن أن الفتاة  
ستحصل على حقوقها كاملة و أن زوجها  
الذلل لن يستقوي عليها بماله و نفوذه ليهضم

حقوقها .. مع هذا لا مانع لديّ من أن نناقش  
المسألة بعيداً عن المحاكم .. ما رأيك في  
جلسة رباعية في مكتبي غداً ؟ .. أم أنك لا  
ترغبين في رؤية غريمك يا دكتورة ؟

هتفت شيرين في توتر :

- و هل ترغب أنت في رؤية حاتم يا عزت ؟ ..  
إذا كنت تعتقد أنني أستطيع الوقوف بين  
زوجي وحببي في غرفة واحدة فأنت لا  
تعرفني .. عموماً .. أنا لست مستعدة لهذا  
و لا أرغب في أن أضع حاتم في موضع  
الحرج أمامك أو أمام أي شخص .. و إذا  
كنت مصراً على أن أقابل الفتاة فلا بأس ..  
سأنتظرها في مكتبي غداً و سأفاوض معها  
بنفسي .. لا في وجودك و لا في وجود حاتم  
.. هل هذا يناسبك ؟

نهض عزت و هتف في برود :

- حاولي أن تنامي الليلة جيداً لتهدأ أعصابك  
يا دكتورة و استعدي لمقابلة الفتاة غداً ..  
سأترك لك فرصة واحدة للتفاهم الودي معها  
.. لكنني سأبدأ في إجراءات التقاضي فوراً إذا



لم تصلي معها إلى التسوية التي ترضيك  
و ترضي ضميري .

انصرف عزت و ترك شيرين تتابعه ببصرها  
حتى اختفى .. نظرت إلى الطعام الذي لم  
تمسه بعد وزفرت في حرارة قبل أن تنهض  
بدورها و تغادر المطعم .

حاولت شيرين أن تعمل بنصيحة عزت و أن  
تنام جيداً لكن النوم جافاها كالعادة ؛ وكيف  
كانت تستطيع أن تفعل و عقلها غارق في  
بحر من الذكريات ؟! .. طوال الوقت يشرد  
عقلها إلى الماضي الذي لا زال حياً في قلبها  
والذي عاشت به أكثر أيام حياتها سعادة و هي  
غافلة عما ينتظرها .. بدأت المشاكل عندما  
انتهت السنة الدراسية و تخرجت هي و عزت  
.. كان ترتيبه الأول على الدفعة كالعادة لذا  
كان من المتوقع أن يتم تعيينه في الكلية ..  
أتت المفاجأة عندما قبلت الكلية تعيينها  
و رفضت تعيينه لأسباب لم يشرحها أحد لكنها  
كانت معروفة .. مجلس الكلية لن يقبل بتعيين  
شاب من أسرة بسيطة لا تمتلك مالا أو نفوذاً  
و أمامهم مرشحة مثل شيرين التي كانت واثقة

من أن والدها معالي الوزير قد تدخل بثروته  
و نفوذه ليحسم المسألة لصالحها لذا فعلت  
الشيء الوحيد الذي بدا لها منطقياً و رفضت  
التعيين .

كانت تجلس مع عزت عند شاطئ النيل و هو  
يهتف في استنكار :

- لماذا فعلتِ هذا ؟ .. التدريس في الكلية هو  
حلم حياتك .

ابتسمت شيرين و هتفت :

- أحلامي تغيرت .. حلم حياتي الآن هو  
وجودنا معاً .. ثم إنني لن أقبل بتحقيق  
أحلامي على حسابك .. أتظن أنني أقبل بأن  
أسلبك حقك ؟ .. مستحيل .

هتف عزت في أسى :

- استبعادي من التعيين لا علاقة له بك  
يا شيرين .. لهم معايير كانوا سيطبقونها في  
كل الحوال و هذا ليس ذنبك .. ثم إنني لن  
أتنازل عن حقي .. سأشكو إلى المجلس  
الأعلى للجامعات و لوزير التعليم العالي  
و سأقاضي مجلس الكلية إن اقتضى الأمر .

هتفت شيرين في قلق :

- لا .. لا تفعل هذا .. تعرف كيف تجري هذه الأمور في دولتنا .. لا أريدك أن تعادي النظام بل أن تسائر الأمور و إذا كنت قد خسرت فرصة التعيين في الكلية فلا زالت أمامك فرصة أخرى .. النيابة .

ابتسم عزت و هتف في سخرية :

- هل تمزحين يا شيرين ؟ .. والدي - رحمه الله - مجرد فلاح بسيط و العدل و المساواة و تكافؤ الفرص مجرد شعارات تطلقها حكومتنا الفاسدة و لا تحاول تطبيقها خاصة في سلك القضاء .. أغلب الظن أنه سيتم استبعادني من النيابة تماماً كما تم استبعادني من العمل بالكلية .

هتفت شيرين في حماس :

- دعنا نحاول .. و على كل حال هذه ليست آخر الفرص أمامك .. سأقنع أبي بأن يفتح لي مكتباً للمحاماة .. يمكننا أن نعمل معاً يا عزت أم أنك لا ترغب في أن نكون معاً .

زفر عزت في حرارة و هتف :

- لا أرغب سوى في أن نكون معاً يا شيرين  
لكن أحداً لن يقبل بهذا خاصةً والدك و هذه  
هي المشكلة .. كنت أمل في أن وضعي  
كعضو هيئة تدريس من الممكن أن يجعله  
يتغاضى عن الفارق المادي الكبير بيننا لكن  
الآن .. لن ير أبوك أنني الشخص المناسب  
لمصاهرته و أظنه محقاً .. ما الذي أملكه  
لأقدمه لك يا شيرين ؟ .. ما المستقبل الذي  
أستطيع أن أعرضه عليك ؟ .. لا شيء .. لا  
شيء على الإطلاق .

لمست شيرين كف يده و هتفت في حنان :

- لديك أغلى ما في حياتي .. لديك عزت و قلبه  
الكبير .. لا أريد من العالم سوى حبك لي و لا  
شيء يرضيني سوى وجودي معك .. أبي له  
مقاييس قاسية في الحكم على الأمور لكنني  
لست مستعدة لأن أخضع لها .. صدقتي  
يا عزت .. أنا مستعدة للوقوف في وجه أبي  
مهما كانت العواقب .

لم تكن تعرف بأنها تعده بما لا تستطيع الوفاء  
به ؛ كما أنها لم تكن لتتخيل أن هذا هو آخر

لقاء سيجمعها به .. تركته و عادت إلى  
القصر و قد عزمت على أنها ستتحدث مع  
أبيها و تفتحه في الموضوع لكنها وجدت  
حازم يجلس في انتظارها في الحديقة  
و على وجهه ابتسامة مشرقة أشعرتها بعدم  
الارتياح خاصةً عندما اندفع نحوها و هو  
يهتف في سعادة :

- قرر عمي أخيراً إعلان خطبتنا بشكل رسمي  
؛ على أن يكون الزفاف في أقرب فرصة ..  
ما رأيك في ليلة رأس السنة ؟ .. سيكون هذا  
بعد شهر و نصف من الآن و ستكون أماننا  
فرصة للتجهيزات و ...

قاطعته هاتفه في حدة :

- كفى هذياناً يا حاتم .. أبي لن يخطط لخطبة  
و زفاف و هو حتى لم يسألني عن رأيي .

بهت وجه حاتم و هتفت في تردد :

- رأيك معروف يا شيرين .. أنتِ موعودة لي  
منذ ولادتك و ....

هتفت في سخرية :

- أه فعلاً .. و هل ستشتري لي ثوب زفاف أم سيلفني أبي لك في ورق هدايا ؟

ظهر الضيق في عيون حاتم و هتف :

- هل يعني هذا أنك لا توافقين على الزواج مني من الأساس أم يعني أن طريقة سير الأمور بهذه السرعة و بدون أن تشركك في الترتيبات هي التي تحنقك ؟ .. اسمعيني يا شيرين .. أنت بنت عمي و شريكتي الوحيدة في اسم العائلة و ثروتها العريضة و زواجنا مسألة تم حسمها منذ سنين و عمي ليس مستعداً للتنازل عنها بأي ثمن لكن ليس هذا هو السبب الوحيد الذي يجعلني متلهفاً على الزفاف ؛ السبب الوحيد هو أنني أحبك .. أحبك أكثر مما تتخيلين .. أحبك منذ سنين لكنك لم تمنحيني و لو فرصة واحدة لأعبر لك عن شعوري .. أنا .....

قاطعته شيرين هاتفة :

- و شعوري أنا يا حاتم ؟ .. أليس له أهمية عندك أو عند أبي ؟ .. ألا يهمك أن تعرف ما إذا كنت أنا أيضاً أحبك أم لا ؟ .. أم أن

حسابات الثروة صوتها أعلى من همس القلب  
و لا أحد منكما سيرغب في أن يسمعه ؟

تركته باهت الوجه و غادرت القصر ؛ ذهبت  
إلى والدها في مكتبه بالوزارة و الذي كان  
يقضي به معظم وقته ؛ لو تكن معتادة على  
الذهاب إليه هناك لكن مدير مكتبه كان يعرفها  
جيداً لذا سمح لها بالدخول بسرعة أما والدها  
فقد رفع حاجبه و هتف في ضيق :  
- ماذا تفعلين هنا يا شيرين ؟

هتفت شيرين في حسم :  
- أحتاج للحديث معك يا أبي .. حاتم يهذي  
بكلام غريب و أريد ....

قاطعها والدها هاتفاً في صرامة :  
- حاتم لا يهذي .. حاتم عميد هذه العائلة من  
بعدي و مستقبليها .. و هو شاب ممتاز حاصل  
على الدكتوراة في الهندسة من أمريكا و قد  
جلس مكاني في إدارة مجموعة الشركات التي  
يشاركك فيها و يدير مصالحنا و ينمي ثروتنا  
بكل كفاءة و آن الأوان لأن أعلن زواجكما ..  
أنهيته دراستك و أهدرت فرصة رائعة للعمل

في السلك الجامعي و لم يعد لك حجة تؤجل  
زواجك .. أم ظننت أنني سأتركك تتفرغين  
للعبث مع ذلك الوضع الذي كنت معه منذ  
ساعتين و تنازلت عن حلم حياتك إكراماً  
لفشله .

لم تكن شيرين تتوقع أن يكون والدها على علم  
بما بينها و بين عزت ؛ و لم تكن تتخيل أنه  
يراقب تصرفاتها لهذا الحد ؛ كانت تشعر دوماً  
بأنها خارج دائرة اهتمامه و لم تتخيل أنها  
تتحرك داخل قبضته التي تتحكم بحياتها كلها  
و بدون أن تستطيع أن تراها .. هتفت في  
توتر :

- عزت ليس فاشلاً يا أبي .. و ما دمت تعرف  
بما بيننا فلم يعد لديّ شك في أنك تأمرت عليه  
و تسببت في ضياع فرصته في العمل في  
الكلية أو النيابة .. حرام عليك .. لما تفعل هذا  
به و بي ؟

هب أبوها واقفاً و هتف في حزم :  
- كفى يا شيرين .. ابعدني عن ذلك الفاشل  
و انسيه تماماً و استعدي لزفافك .. حاتم هو



الزوج المناسب لكِ و هذه مسألة لا تقبل للنقاش .

أطرقت شيرين برأسها .. تعرف أن والدها رجلاً كثير المال و النفوذ و لم يتعود أن يقول له أحد لا أو أن يقف ضد إرادته .. خاصة لو كان ابنته الوحيدة .. و مع هذا هتفت :  
- عزت هو الزوج الوحيد الذي يناسبني يا أبي .. حتى لو وقف العالم كله بيني و بين أن أتزوجه .. فحاول أن تتفهم موقعي و تقبل به لأنني لن أتزوج غيره حتى لو قتلتي .. أحبه .. أحبه يا أبي و لن أضحي به بأي ثمن .

## الفصل السابع

أخفت شيرين وجهها بين كفيها و هي تبكي بحرقة ؛  
شهرٌ كامل و هي تبحث عن عزت دون جدوى ؛  
اختفى فجأة بعد أن قابلها بساعات و كأنه قد تبخر ..  
لم يره أحد من شركاءه في السكن و لم يعد إلى بلده  
و لم تعثر له على أثر لا في المستشفيات و لا أقسام  
الشرطة و لا حتى في المشرحة .

نظرت رجاء - صديقة شيرين الوحيدة لها - في  
حسرة قبل أن تهمس :

- لا أحد يختفي هكذا بدون سبب و لا أثر ..  
على الأقل ليس من تلقاء نفسه .

رفعت شيرين وجهها تنظر إلى صديقتها  
و هتفت في لهفة :  
- ماذا تقصدين ؟

كانت شيرين تجلس مع رجاء في غرفة نومها  
؛ غرفة بسيطة كالشقة المتواضعة في الألف  
مسكن التي يملكها والد رجاء و الذي كان  
مجرد موظف بسيط في هيئة النقل العام ..  
طوال سنوات الدراسة في الكلية كانت رجاء

هي الصديقة المقربة من شيرين حنى أنها هي  
الوحيدة التي استطاعت أن تعري عواطفها  
أمامها و تحكي لها عن عزت و ما بينهما .

رغم الفارق الاجتماعي الكبير كانت رجاء  
تحب في شيرين تواضعها و ذكاءها و رقتها  
أما شيرين فقد أحبت في رجاء وضوحها  
و قوة شخصيتها و نظرتها العميقة للأمور و  
بعد نظرها لذا لم تكن لتستغرب لو أن رجاء  
كانت ترى ما لا تستطيع أن تراه و تستطيع  
أن تدلها على طريقة للعثور على عزت  
أو اكتشاف مصيره .. و قد هتفت رجاء في  
حسم :

- أقصد أن والدك معالي الوزير له يد في  
الموضوع .

بهت وجه شيرين فأردفت رجاء :

- احسبها بنفسك .. معالي الوزير يريد زواجك  
من ابن أخيه بأي ثمن ؛ كما أنه لن يغفر لك  
أنك قد ناطحتيه و تمردت على سطوته .. قلت  
بنفسك أنك واجهتيه و أبلغتيه بكل صراحة  
بأنك ستتزوجين عزت ولو ضد إرادته .. ثم  
اختفى عزت .. ما معنى هذا في رأيك ؟

انتفضت شيرين و هتفت في ذعر :  
- ماذا تعنين ؟ .. هل يمكن أن يكون قد أذاه ؟

لمعت الدموع في عيون رجاء و همست :  
- أتمنى ألا يكون هذا ما حدث .. لكن فكري  
معي .. من سوى والدك قد تكون له يد في  
هذا ؟ .. عزت ليس طفلاً ليتوه عن بيته ؛  
عزت شاب رشيد و عاقل و ممتاز من كل  
الوجوه لكنه في ميزان معالي الوزير قد لا  
يساوي أكثر من حشرة يستطيع أن يفعصها  
بدون أن يؤنبه ضميره أو يسأله أحد عما  
يفعل .. أم أنك عمياء و لا تعرفين حجم الفساد  
الذي نتنفسه طوال الوقت .. ادخلي بنفسك  
على مواقع التواصل الاجتماعي و اقرئي عن  
المهازل و الجرائم التي ترتكبها حكومتنا  
الفاسدة و لم يعد من الممكن السكوت عليها ..  
ألم تسمعي عن صفحة كلنا خالد سعيد ؟ ..  
الناس ...

قاطعتها شيرين هاتفية في لوعة :  
- كفى يا رجاء أرجوك .. هل هذا وقت الحديث  
عن السياسة ؟

تنهدت رجاء و هتفت :

- مع أن السياسة ليس لها وقت لكنني أحاول فقط تنبيهك إلى أنك تبحثين عن عزت في المكان الخطأ .. واجهي أباك يا شيرين و بسرعة لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يدلنا على طريق عزت قبل فوات الأوان .

صمتت رجاء لحظة و انهمرت دمعة على وجهها و هي تردف :

- هذا إذا لم يكن الأوان قد فات فعلاً .

ذهبت شيرين إلى والدها بمكتبه في ديوان الوزارة ؛ كانت تعرف في قرارة نفسها أن رجاء قد تكون محقة .. هي لا تريد أن تواجه حقيقة أنها قد وضعت عزت أمام أبيها ليسحقه في طريقه كما لا تريد أن تواجه أنها ربما قد فقدت عزت إلى الأبد لكنها كان يجب أن تواجه أبيها .. على الأقل لتعرف أين حبيبها و ماذا حدث له ؛ و لو كان عليها أن تضحي بحياتها ليعفي عن حياته فلم تكن لتتردد و لو للحظة واحدة .

دخلت إلى مكتب والدها الذي تأملها في برود  
؛ تغيرت كثيراً خلال الشهر الذي مضى على  
اختفاء عزت ؛ فقدت الكثير من وزنها  
و أصبح وجهها شديد الشحوب و ثيابها التي  
اتسعت كثيراً عليها لم تعد تناسبها و بدا  
مظهرها مزرياً خاصةً شعرها الذي كانت  
تعكسه برباط أسود خلف ظهرها دون  
تصفيف فلم يكن عقلها الذي يمزقه الخوف  
و الحيرة و الألم ليتسع لهذه التفاصيل  
الصغيرة .. لوى والدها شفثيه و هتف في  
ضيق :

- ماذا تريدين ؟ .. آخر مرة أتيت إلى مكتبي  
هذا أسأت الأدب كثيراً يا آنسة و بات من  
الواضح أنني يجب أن أعيد تهذيبك إذ لم يفت  
أوان هذا بعد .

هتفت شيرين في لوعة :

- أين عزت ؟ .. ماذا فعلت به ؟

هتف والدها في برود :

- هو الذي فعل بنفسه .. تطلع إلى أسياده  
و لعب بالنار .. و من يلعب بالنار تحرقه ؛  
أليس كذلك ؟

انتفضت شيرين و هتفت في دعر :

- هل قتلتاه ؟

استرخى معالي الوزير في مقعده و هو

يهتف :

- و لما أفعل ؟ .. الموت رحمة لا يستحقها

أمثاله .. يجب أن يتعلم الدرس جيداً و لن

يرضيني أن يموت قبل أن أنته من تهذيبه .

ترنحت شيرين و كادت أن تفقد وعيها حتى

أن صوتها قد خرج كحشرجة الموت من

حلقها و هي تهمس :

- ماذا فعلت به ؟ .. أين أخفيته ؟

هتف في برود :

- في المعتقل .. عثر أمن الدولة على منشورات

في بيته و تم القبض عليه ضمن خلية لقلب

نظام الحكم .

هتفت شيرين في لوعة :

- حرام عليك .. تعرف أن هذا كذب .. تلفيق ..

عزت برئ .. الجريمة التي تحاسبه عليها هي

حبي له و هذا ليس ذنبه .. ليتك قتلتني يا أبي  
لكان هذا أهون .

أشعل والدها سيجاراً فاخراً و أشعله و هو  
يهتف :

- حياته أرخص من حياتك بكثير .. عموماً هو  
لم يمت بعد ؛ لكنني لا أضمن لك أن هذا لن  
يحدث في أية لحظة .. تعرفين أن وسائل  
الاستجواب في قضية كهذه قد تفقده حياته  
أو عقله قبل أن يعرض على المحكمة التي قد  
تأمر بإعدامه .

لم تعد شیرين تستطيع أن تقف على قدميها ؛  
مجرد التفكير في العذاب الذي يتعرض له  
عزت منذ شهر مضى و العذاب الذي ينتظره  
جعلها تنهاوى جالسةً على الأرض و هي  
تبكي في حرقة و قلبها يدمي ألماً عليه ..  
تأملها أبوها في برود و هتف :  
- لم يفت الوقت بعد .. لا زال في إمكانك إنقاذه  
من هذا العذاب و إعادته إلى حضن أمه .



نظرت إلى والدها في أمل لكنه هتف في  
قسوة :

- إذا تم زواجك من حاتم أضمن لك خروجه من  
المعتقل بمجرد توقيعك على عقد الزواج ..  
لكن أنصحك أن يتم هذا بسرعة و بدون تردد  
أو تأخير لأن وجوده هناك ليس مضمون  
العواقب و ربما لا يصمد حتى تتم محاكمته .

همست شيرين في انهيار :

- سأقتل نفسي و لن أتزوج حاتم .. هل تفهم  
يا أبي ؟ .. أنا لن أغدر بحبيبي و هو في هذه  
الظروف .. أهون علي أن أموت قبل أن  
يمسني رجلٌ غيره .

هتف معالي الوزير في قسوة :

- إذاً موتي يا شيرين .. لكن هذا لن يخرجك من  
المعتقل .. و أضمن لك أنني لن أسمح بأن  
يموت قبل وقتٍ طويل .. و عندما تقابلينه في  
العالم الآخر لن تتعرفي عليه بعد ما سأفعله  
به .

لا تعرف شيرين كيف انسحبت من مكتبه  
و عادت إلى القصر .. كانت الدموع تغرق

وجهها عندما لمحها حاتم و اندفع نحوها و هو  
يهتف في جزع :  
- ما بك ؟

نظرت إليه و لم تقل شيئاً فمسح حاتم دموعها  
و هتف في حنان :  
- أنتِ لستِ بخير منذ رفضتِ زواجنا يا شيرين  
؛ هل عمي يضغط عليكِ ؟ .. اطمئني .. أنا  
في حياتي لم أحب و لن أحب فتاة غيرك لكن  
هذا لا يعني أنني سأقبل بأن يرغمك أبوك  
على زواجنا .. سأحدث معه و أغلق هذا  
الموضوع نهائياً و لن أسمح له بأن يضايقك  
به بعد الآن .. المهم هو أن تعودى شيرين  
التي أعرفها .

همست شيرين في ضعف :  
- لكنني أوافق على زواجنا .. في ليلة رأس  
السنة كما وعدت أبي .. أو قبل هذا .. أنا  
مستعدة للتوقيع على عقد الزواج الآن لو  
أردت .

نظر إليها حاتم في حيرة ؛ كان ما يسمعه منها  
هو ما يتمنى سماعه طوال حياته لكن الدموع

التي أغرقت وجهها جرحت قلبه .. لم يكن من  
الواضح أنها قد وافقت على زواجها منه  
بالفعل و لكن أن والدها وجد طريقة  
لإخضاعها لإرادته .. طريقة قاسية .. هي  
التي جعلتها تأتي إليه و هي محطمة و توافق  
على الزواج .

زفر حاتم في حرارة و هتف :

- زواجنا هو أمل حياتي يا شيرين لكنني لن  
أوافق أبداً على أن تعيشي معي و أنتِ مكرهة  
.. انسي موضوع الزواج و دعي والدك  
لي ....

قاطعته هاتفه في لوعة :

- أنا أريدك أن تقول لأبي كلمة واحدة فحسب ..  
موافقة .. أنا موافقة .. و أكثر من هذا .. لا  
أريد الآن شيئاً سوى التوقيع على عقد الزواج  
.. مستعدة لأن أجتو على ركبتي و أتوسل  
إليك لتوقع على عقد الزواج معي الآن ..  
تزوجني يا حاتم .. إن كنت تحبني كما تدعي  
تزوجني بسرعة و لا تسألني لما لم أعد  
مستعدة لتأخير زواجنا .. لا تسألني عن  
السبب أبداً .

## الفصل الثامن

كانت شيرين منهمكة في اجتماع مع المحامين العاملين في مكتبها عندما دخلت إليها السكرتيرة و هتفت في تردد :

- أسفة على المقاطعة يا دكتورة و لكن ..  
الأستاذ / عزت المحلاوي هنا و يصر على مقابلتك و هو ليس لديه موعد مسبق .

هتفت شيرين في فتور :

- دعيه يدخل .

ثم التفتت إلى المحامين هاتفة :

- سنستأنف الاجتماع لاحقاً .. يمكنكم الذهاب إلى مكاتبكم الآن .

غادرت السكرتيرة و المحامون المكتب بينما نهضت شيرين و تركت مائدة الاجتماع و ذهبت إلى مكتبها الفخم و جلست خلفه و هي تضع النظارة معتمة العدسات على عينيها ..

دخل عزت إلى غرفة المكتب و هو يحمل  
حقيبة أوراقه كالعادة و في يده فتاة لم تكن  
شيرين تحتاج إلى ذكاء لتعرف أنها هي التي  
تدعي كونها زوجة حاتم .

تأملت شيرين الفتاة في فضول .. كانت مجرد  
مراهقة حديثة السن ؛ ملامحها الهادئة تشع  
بالجمال و ثيابها غالية الثمن لكنها تخلو من  
الذوق .. كانت الفتاة بدورها تتأمل شيرين في  
غيرة واضحة بينما هتف عزت في ضيق :

- لم تبلي سكرتيرتك عن موعدنا يا دكتورة ..  
ظننت أننا قد اتفقنا .

هتفت شيرين في فتور :

- اتفقنا على أن أتحدث مع الفتاة وحدنا ..  
وجودك هنا لا معنى له يا عزت .

هتفت الفتاة في عصبية :

- الأستاذ عزت معي و لن يتركني وحدي .. ما  
يديرني أنك لن تؤذيني .

استرخت شيرين في مقعدها الفخم ؛ و هتفت  
في هدوء :

- انظري حولك يا فتاة .. أنتِ في مكتب محاماة محترم و أنا لست تاجرة مخدرات أو معلمة في المذبح .. إذا أردتِ التفاوض يمكنكِ الحديث معي وحدنا .. امرأة إلى امرأة .. و إلا أمالك المحاكم و عزت يعرف طريقها جيداً و يعرف المتاهات التي يمكن أن ندور بها إلى ما شاء الله .. قرري الآن .. إما أن ينتظرك عزت في غرفة السكرتارية أو تذهبين في يده إلى خارج هذا المكتب و لا أرغب في رؤية وجهك إلا في ساحة المحكمة .

نظرت الفتاة إلى عزت كأنها تستنجد به و تسأله المشورة فابتسم لها عزت مطمئناً و هتف :

- الدكتورة لديها حق .. التفاوض الودي قد يوفر علينا الكثير من الوقت خاصةً أن الدكتورة شخص نزيه و حيادي و إذا اقتنعت بسلامة موقفك فأنا واثق من أنها ستقف في صفك و تساعدك .

نظرت شيرين إلى عزت و قد بدت الصدمة في عينيها .. فاجأها أن يكون هذا رأيها بها

و هو الذي جرحته بشدة و ظل لسنواتٍ طويلة  
و حتى إلى الآن يعتقد أنها قد خذلتها و تخلت  
عنه و تنكرت لحبه و هو في أصعب لحظات  
حياته و أدارت ظهرها له .. و خانت عهوده  
و تزوجت ابن عمها لتحافظ على ثروة  
عائلتها و مستواها الاجتماعي بكل أنانية  
و جحود .

غادر عزت المكتب في هدوء و جلس على  
المقعد المواجه لمكتب السكرتيرة التي طلبت  
له قهوته المعتادة ؛ و ظل يرشف القهوة في  
بطء و هو يتوق لأن يعرف بما يجري خلف  
الجدار المقابل بين شيرين و غريمتها ..

كانت امتثال تتأمل شيرين في قلق قبل أن  
تهتف :

- هل ستساعديني كما يقول ؟ .. لا أظن .. أنا  
ضرتك و من الطبيعي أن تكرهيني و تغاري  
مني .. أنا واثقة من أنك السبب الوحيد خلف  
نزالة حاتم معي .. كنا سعداء معاً حتى حدث  
الحمل و لو وافقته و تخلصت منه لعادت  
الحياة بيننا كما كانت لكنني لن أفعل .. أحب

حاتم و من حقي أن يكون لي ابن منه .. حتى  
لو كان هذا لا يعجبه أو لا يعجبك أنتِ أيضاً .

أشارت شيرين للفتاة بالجلوس أمام مكتبها  
و هي تهتف :

- قصة مؤثرة و أداء رائع في الحقيقة .. لكن  
هذا لا يكفي لأن أصدق أنكِ زوجة حاتم فعلاً  
أو أن الجنين الذي في أحشاءك يخصه .

هتفت امتثال في حدة :

- أنا لا أدعي .. لديّ عقد زواج وقعه حاتم  
بنفسه و عليه شهود و لا يمكنه أن يتنصل  
منه .

تجاهلت امتثال إشارة شيرين و ظلت واقفة  
فابتسمت شيرين و هتفت في هدوء :

- و من قال أنني أطعن في صحة العقد ؟ ..  
العقد صحيح و توقيع حاتم عليه ليس مزوراً  
.. واثقة من هذا و لكن .. ما أطعن فيه هو  
جوهر القضية يا امتثال .. أنا لا أعرف كيف  
أقنعت حاتم بكتابة تلك الورقة الغيبية و التوقيع  
عليها لكنني واثقة من أنه لم يلمسك .. قد لا  
تكوني عذراء و ربما كنتِ حبلى بالفعل لكن



حاتم ليس مسئولاً عن حملك .. أعلم علم اليقين أن حاتم لم يعاشرك على الإطلاق .

هتفت امتثال في حدة :

- معذورة .. الغيرة تنهشك يا دكتورة و تجعلك مغفلة ترفض تصديق حقيقة أن زوجها قد خانها مع فتاة ربما كانت في نصف عمرها .. حاتم زوجي منذ ستة أشهر كاملة يا دكتورة .. لدي شقة اشتراها باسمي و سدد ثمنها لمالكها بشيك مسحوب على حسابه الشخصي و الرجل مستعد لأن يشهد بهذا .. كنا نتردد عليها معاً و حراس العقار و هم أربعة سيؤكدون على هذا .. و الأهم من هذا كله هو الجنين نفسه .. عزت يؤكد على أن الطب الشرعي يستطيع أن يثبت أن حاتم هو والد ابني و المحكمة ستقر بنسبه له و مهما كنت محامية بارعة لن تستطيعي إثبات غير هذا .

انفجرت شيرين ضاحكة على نحو استفد امتثال التي احتقن وجهها بشدة و هتفت في ضيق :

- لم يعد لي كلام معكِ .. أنا سأذهب الآن و لنلتقي في المحكمة يا دكتورة .

نهضت شرين و دارت حول مكتبها و هي تحاول أن تتوقف عن الضحك و هتفت :  
- آسفة و لكن إصرارك يعجبني فعلاً .. أي شخص سيسمعك سيصدقك و يتعاطف معك و قد يقع تحت تأثيرك حتى لو كان محامياً محكماً مثل عزت لكن أنا لا .. أنا الوحيدة التي لن تتطلي عليها ألعيبك و لن تصدق أكاذيبك هذه أبداً .. اسمعي يا امتثال .. لما لا تقصرين الطريق على نفسك ؟ .. قللي كم تريد من خلف هذه المسرحية السخيفة و أنا سأدفعه لك بشرط واحد .. أن تعترفي أمام عزت بكذبتك الحقيرة حالاً .

هتفت الفتاة في حدة :

- أنا لست كذابة .. أخطأت عندما وافقت حاتم على الزواج بدون علم أهلي لكن هذا لا يعني أنني من الممكن أن أبيع شرفي و مستقبل ابني أو حياته بالمال يا دكتورة .. هذا ابن حاتم و لا أريد سوى أن يعترف به حتى لو طلقني بعد هذا .

حدقت شيرين في وجه امتثال التي ظلت مصرة على موقفها في حيرة ثم هتفت :

- أنا لا أعرف لما تصرين على اختلاق الأكاذيب .. أنا واثقة من أن حاتم ليس على علاقة بك و لا يمكنني أن أصدق أن هذا الحمل منه .. حتى لو قدمت لي عقد زواج شرعي على يد مآذون .

هتفت امتثال في استنكار :

- لماذا ؟ .. أليس رجلاً ككل الرجال و يحق له أن يتزوج مرة .. و اثنين .. و ثلاثة ؟

عقدت شيرين يديها أمام صدرها و هي تهتف في ضيق :

- نظرياً فحسب .. لكن توقيعك على العقد لا يعني أنه قد مارس معك علاقة طبيعية أو أنه قد تسبب في حملك .. صدقيني .. أنا زوجته منذ سبع سنوات كاملة و أعرف ما أتحدث عنه .

هتفت امتثال في حدة :

- ولأنك لم تنجبي منه ؟ .. من قال أن هذا ذنبه ؟

عادت شيرين للجلوس خلف مكتبها قبل أن  
تهتف في هدوء :  
- بل لأنني لا أزال عذراء حتى الآن .

امتقع وجه امتثال بشدة و هتفت :  
- أنتِ كذابة .

هتفت شيرين في حسم :  
- و لماذا أفعل ؟ .. أنا لا أحب أن أكون  
مضطرة للاعتراف بهذا لكنني أحاول فقط  
تنبيهك إلى أن أي محاولة منك لاستغلال  
عزت و جعله يرفع لك دعوى النسب  
سأستطيع إبطالها بمنتهى البساطة .. أنتِ لن  
تكسبي شيئاً بالتمادي في لعبتك هذه سوى ما  
يمكنني أن أدفعه لك الآن إنقاءاً للفضائح .. أنا  
لن أحب أن أقف في المحكمة و أفضح زوجي  
و طبيعة علاقتي به .. و إنقاءاً للفضائح  
سأدفع لك مبلغاً سخياً جداً في مقابل إنهاء هذه  
المسرحية السخيفة فوراً .. اعترفي بكذبتك  
أمام عزت و سأمزق أصل العقد و التوكيل  
بيدي و سأمنحك شيكاً بالمبلغ الذي سنتفق  
عليه الآن .

لوت امتثال شفيتها و هتفت في ازدرء :

- لعبتك غبية يا دكتورة .. و لو كنت أكذب  
أو أدعي كما تعتقدين لسقطت فيها و صدقتك  
؛ لكنني صادقة في كل حرف قلته لك .. حاتم  
زوجي و حبيبي و ابنه في أحشائي و أعرف  
جيداً أنكِ تفترين عليه أو تحاولين خداعي ..  
و في كل الأحوال كلامك هذا لن ينطلي عليّ  
و عرضك مرفوض يا دكتورة .

هتفت شيرين في ضيق :

- أفهم من هذا أنكِ مصرة على تعريض حاتم  
لهذا الموقف المهين .. أنتِ لن تستفيدي شيئاً  
سوى معاداتي و هذا ما لن يمكنكِ تحمل  
عواقبه .. أعدك بأن تخسري قضية النسب  
و أن ألاحقك بقضايا سب و قذف و تشهير  
و أطالبك بتعويض قد يجعلك تقضين بقية  
عمركِ في السجن .

نظرت إليها امتثال في تحدٍ و هتفت :

- هدي كما تشائين يا دكتورة لكنني أنصحك  
أولاً بأن تتحدثي مع حاتم و تواجهينه و هو لن  
يستطيع أن ينكر ما بيننا .. أنا واثقة من أن  
حاتم يحبني و سيراجع نفسه و يعود إلى

حضني أنا لأنني أنا أم ابنه .. و ربما كنت  
فعلاً لا تصديق أنني و حاتم كنا معاً لهذا  
سأمنحك دليلاً على صدق كلامي .. حاتم لديه  
جرح قديم .. طعنة سكين أصيب بها في  
مشاجرة عندما كان يدرس في أمريكا و قد  
تركت أثراً واضحاً في فخذه .. هل لاحظتيه  
يا دكتورة أم أنكِ عذراء لدرجة أنكِ لم  
تلاحظي ذلك ؟

غادرت امتثال المكتب بينما امتقع وجه  
شيرين بشدة و ظلت تفكر في شروء .

## الفصل التاسع

غادرت امثال مكتب شيرين مع عزت بينما ظلت شيرين جالسة في مكتبها و هي تشرب الكثير من القهوة و تغرق في دوامة من الأفكار قبل أن تلتقط هاتفها المحمول و تتصل على حاتم الذي تلقى الاتصال هاتفاً :

- خير يا شيرين .. أصبحت تتذكريني كثيراً هذه الأيام و كأنك قد اكتشفت فجأة أنني لا أزال موجوداً في حياتك .. ماذا تريدان يا عزيزتي ؟

هتفت شيرين في عصبية :

- أحتاج للحديث معك بسرعة يا حاتم .. متى ستعود إلى القصر ؟

جعله صوتها يشعر بالقلق فهتف بسرعة :

- الآن لو أردت .. هل أنت بخير يا شيرين ؟

نهضت شيرين و هي تهتف في حسم :

- أنا في طريقى إلى القصر .

قطعت الاتصال دون كلمة أخرى و ألفت  
الهاتف في حقيبة يدها الصغيرة و التقطت  
حقيبة أوراقها كذلك ثم غادرت المكتب ؛  
ركبت سيارتها و انطلقت بها إلى القصر  
بسرعة و هي تفكر في أنها لن تظل تفكر في  
دوائر مفرغة بينما ستجد لدى حاتم إجابة  
محددة عن كل تساؤلاتها .

وصلت قبل حاتم فدخلت إلى غرفة المكتب  
و جلست تدخن سيجارة في عصبية حتى أتى  
.. كان يرى كم هي متوترة فهتف في قلق :  
- ما بكِ يا شيرين ؟ .. هل حدثت مشكلة ؟

هتفت في حدة :

- تقصد غير التي حدثتك عنها من قبل .. ما  
الذي بينك و بين تلك الفتاة يا حاتم و يجعلها  
تصر على موقفها ؟

زفر حاتم في حرارة قبل أن يهتف :

- هل تحدثتِ معها ؟ .. ما كان عليكِ أن تفعلي  
يا شيرين .. طلبت منك بكل وضوح أن  
تتركي هذا الموضوع لي و أنا سأعالجه لكنكِ  
عنيدة و لا تسمعين لي .



أطفأت شيرين بقايا السيجارة التي كادت أن  
تتحرق أصابعها و هي تهتف في عصبية :  
- سأسمع لك إذا كنت واضحاً معي و قلت  
الحقيقة .. ما الذي بينك و بين تلك الفتاة ؟ ..  
لقد تحدثت معها بكل صراحة فسخرت مني  
بمنتهى الوقاحة .. هل يمكن أن أفهم لماذا ؟

وضع حاتم يديه في جيبى سرواله و هتف في  
هدوء :  
- ربما لأنها لا تكذب يا شيرين .. امتثال  
زوجتي و جنينها ابني .. ابني البكر يا دكتورة  
و الذي كان من الممكن أن أظفر به منذ سبع  
سنوات مضت لولاك .

بهت وجهها و همست :  
- لا أفهم .. أتعني أنها حامل منك فعلاً ؟ ..  
كيف ؟

هتف حاتم في حدة :  
- ككل الناس يا شيرين .. هل هذا يحتاج إلى  
شرح ؟ .

هبت شيرين واقفة و هي تهتف في عصبية :  
- هكذا ببساطة .. حاتم أنا و أنت نعرف جيداً  
أنك لا يمكن أن تتزوج من هذه الفتاة أو من  
غيرها .. أنت ....

النظرة القاسية في عينيه جعلتها تبتر عبارتها  
و تبحث عن علبة سجاورها لتشعل سيجارة  
جديدة و تظل تنفث دخانها في عصبية بينما  
هتف حاتم في مرارة :

- إلى متى ستشككين في رجولتي يا شيرين ؟ ..  
أنا تزوجت امثال و هي حامل مني كما أنها  
ليست أول فتاة أتورط معها سواء بعقد  
أو بدونه ؛ لكنك مشغولة جداً عني بمكتبك  
و نجاحك و قضاياك حتى أنك لم تلاحظي قط  
أنني أعبت من خلف ظهرك طوال الوقت  
و أعيش حياتي على أكمل وجه و لست ميتاً  
مثلك يا دكتورة .

تلاأت الدموع في عيونها فزفر حاتم في  
حرارة قبل أن يردف :

- آسف يا شيرين لكنها الحقيقة .. حقيقة لا  
ترغبين في الاعتراف بها لكن ربما كان من  
الغباء أن نظل ننكرها إلى الأبد .. منذ

تزوجتك يا شيرين و أنتِ ترفضين وجودك  
معي .. كنتِ تنظرين إليّ و كأنني وحش  
يرغب في افتراسك .. كلما اقتربت منكِ كنتِ  
تجعليني أشعر بأنني أهم بارتكاب جريمة ..  
زواجي منكِ كان ذات يوم حلم حياتي الوحيد  
لكنكِ حولتيه إلى كابوس لا نهاية له .. في  
النهاية توهمتُ أنني عاجز لتتفيني خارج  
حياتك دون أن تشعرني بالذنب نحوي  
أو التهديد من وجودك على ذمتي .. و قد  
تحملتِ هذا كثيراً لكنني لم أعد مستعداً لأن  
أتحمله بعد الآن .. أنتِ زوجتي يا شيرين ..  
زوجتي على سنة الله و رسوله .. و لي حقوق  
عليكِ لن أسمح لكِ بأن تنهربي من أدائها بعد  
الآن .

التقطت شيرين فتاحة الورق من فوق المكتب  
بحركة خاطفة و صوبتها إلى قلبها فهتف  
حاتم في مرارة :

- لن تكون أول مرة تؤذين فيها نفسك و أنتِ  
تتوهمين أنكِ تحمين نفسك مني .. طالما كنتِ  
تبغضين وجودكِ معي و أنا لا زلت كما كنتِ  
دائماً لا أَرغب في إيذاءك .. تحملتِ منكِ  
طوال سبع سنوات كاملة صد و رفض

و تجاهل لا يستطيع زوج في العالم أن يتحملة  
لكنني فعلت .. فعلت هذا من أجلك .. لأنني  
أحبك .. و مع هذا ففي كل يوم كنت أنتظر أن  
تأت إليّ و تطلبي الطلاق ؛ لكنك لم تفعلي قط  
.. لماذا يا شيرين ؟ .. لماذا ؟ .. لماذا قبلت  
أن تعيشي أسيرة في عصمتي و لم تفكري في  
الخلاص من العلاقة التي لم تكن تعني أي  
شيء بالنسبة لك ؟ .. لماذا ؟

كانت تعرف الإجابة لكنها لم تكن مستعدة لأن  
تمنحها له ؛ تراخت ذراعها و تركت فتاحة  
الرسائل تسقط على سطح المكتب و عقلها  
يشرد في ذكريات قديمة لا تزال حية  
و موجعة قبل أن تهمس :  
- أنا أطلبه الآن يا حاتم .. خلاصك و خلاصي  
في كلمة واحدة كان يمكنك أن تتطرق بها منذ  
سنين .. طلقني .

نظر إلى الدموع التي تتلألأ في عيونها  
و هتف :  
- أفهم من هذا أنه قد عاد .

انتقضت و هتفت :

- من تقصد ؟

هتف حاتم في حدة :

- عزت المحلاوي .. الصعلوك الذي وقعت في غرامه و تزوجتيني من أجله لا حباً فيّ .. أظنّين أن عمي لم يخبرني عن علاقتك الطائشة و جبروته في الرد عليها ؟ .. أعرف أنك أحببته يا شيرين لكنني لم أظن أنك ستحبينه إلى الأبد .. انتظرت لسنوات أن تفيقي من لوثتك و تشعري بالرجل الذي منحك اسمه و عمره و عواطفه لكنك لم تفعلي قط .. أنتِ قبلتِ الزواج مني لأجله ولكنك في أعماقك ظلتِ مخلصه بعواطفك الحمقاء له رغم أنه رماكِ خلف ظهره و تزوج صديقتك الوحيدة و سافر معها .. غيبة .. أضعت أجمل سنوات عمرك و أنتِ تعيشين في وهم لا قيمة له .

سالت الدموع على وجه شيرين و أخذ جسدها يرتعش و هي تهمس :

- ما دمت تعلم كل هذا فلا تسألني لما لم أطلب الطلاق منك .. الرجل الوحيد الذي أحببته في

حياتي تزوج و أنجب و لم يعد لي مكان في  
حياته .. أنا خسرتة للأبد و عودته من الكويت  
لم تفعل شيئاً سوى أنها قد جعلتني أتألم بأكثر  
مما كنت أتألم فعلاً و عذبتني على نحوٍ لم أعد  
أطيعه .. أبي قتلني يوم حرمني من عزت  
و اختارك أنت لكي تكون قبراً لي .. لا زلت  
مذبوحة و دمائي لم تجف بعد و مع هذا فإن  
حياتي الميتة التي لا معنى لها لا تزال ملكي  
و لم أعد مستعدة لأن أنقاسمها معك .. طلقني  
يا حاتم لو سمحت .

نظر إليها حاتم في ألم قبل أن ينسحب إلى  
غرفته بينما جلست شيرين خلف المكتب  
و هي تبكي في حرقه ؛ يعايرها حاتم بأنها  
أحبت رجلاً أولاً ظهره و تزوج صديقتها  
الوحيدة ؛ ربما لأنه لا يعلم أنها هي من  
خطت لهذا الزواج و أوجدته من العدم .

عادت بها الذكرى إلى ليلة رأس السنة عام  
٢٠١٠ م .. كانت تجلس على طرف فراشها  
بعد أن ارتدت ثوب العرس ؛ صوت  
الموسيقى الصاخبة في حديقة القصر يصم  
أذناها كالعويل و قلبها يبكي في حرقه ؛

و كانت رجاء معها .. تنتظر في أسي إلى  
الدموع التي أغرقت وجهها و أفسدت زينتها  
و تهتف :

- ما دمتِ تحبين عزت لهذا الحد لماذا رضختِ  
لوالدك ؟ .. ما كان عليكِ أن تتقهقري أمام  
جبروته .. كان يجب أن تقاومي مهما كان  
الثمن .

انتحبت شيرين في حرقه و هي تهتف :

- هو الثمن يا رجاء .. عزت هو الثمن ..  
والذي توعد بقتله في المعتقل و أنتِ تعرفين  
مدى سطوته و نفوذه .. يستطيع أن يفعل ما  
توعدني به دون أن يرف له رمش و لن  
يردعه أحد .

هتقت رجاء في حدة :

- هذا إجرام .. فساد والدك و أمثاله يجب وضع  
نهاية له .. و أنا واثقة من أن هذا النظام  
الفاقد قد يسقط تماماً و قريباً جداً .

مسحت شيرين دموعها و هي تهتف :

- فساد والدي و أمثاله أصبح سنة الحياة في كل  
زمان و مكان و على اختلاف الأنظمة و هذا

ليس هو ما يهمني .. كل ما يهمني هو عزت  
.. سيطلقون سراحه الليلة بعد أن أوقع على  
العقد .. لا أعرف كيف هي حالته بعد شهر  
و نصف قضاها في المعتقل لكنني واثقة من  
أن أول ما سيفعله هو أنه سيسأل عني ..  
و سيعرف بزواجي من حاتم .. عزت لن  
يسامحني أبداً و خيانتني له ستوجعه بشدة .

هتفت رجاء في استنكار :

- هذه ليست خيانة بل تضحية يا شيرين .. أنتِ  
تقايضين حياته بتعاستك و هو ليس من حقه  
أن يلومك .

نظرت شيرين إلى رجاء و أمسكت بكفها  
و هي تهتف في ضراعة :

- لكنه لا يعلم هذا يا رجاء و لا أريده أن يعلمه  
.. أنتِ صديقتي و ستحفظين سري كما أنكِ  
لن تسمحني بأن يتهور عزت أو يعرض نفسه  
لبطش حاتم أو أبي .. عزت يجب أن ينساني  
و يعيش حياته .. مع الانسانة التي تحبه  
و تستطيع أن تسعده .. معكِ أنتِ .



بهت وجه رجاء و هتفت في ارتباك :  
- أنا ؟! .. من قال أنني أحبه ؟ .. شيرين .. أنتِ تهذين .

ابتسمت رغم دموعها و همست :  
- أنتِ صديقتي الوحيدة يا رجاء ؛ أظنن أنني لم أشعر بما في قلبك ؟ .. أنا أعرف كم تحبني و كم يحتاج إليك .. يمكنك مواساته و إنقاذه قبل فوات الأوان فلا تترددي .. امنحيه السعادة التي يستحقها و اشف جراحه بحبك و تأكدي من أنني لن أنسَ أبداً أنكِ لم تفعلي هذا لأجله أو لأجلك فحسب و لكن لأجلي أنا أيضاً .. و اعتبري صنيعك هذا إكراماً لصداقة العمر .

## الفصل العاشر

كانت شيرين تجلس خلف مكتبها و هي تحقق في  
سقف المكتب و تفكر في شرود ؛ الألم الذي يذبح قلبها  
بلا رحمة يجعلها تشعر بأنها لن تستطيع مواصلة  
الحياة كما كانت تفعل قبل أن يظهر عزت بها من  
جديد .. دخلت السكرتيرة إلى مكتبها و هي تهتف في  
تردد :

- آسفة يا دكتورة .. لا أرغب في إزعاجك  
و لكنه يصر على مقابلتك مع أنه ليس لديه  
موعد مسبق و قد قلت له أنك لست موجودة  
و لكنه رأى سيارتك ...

قاطعتها شيرين هاتفة في توتر :  
- اختصري يا هبة .. من تقصدين ؟

قبل أن تنطق هبة بحرف واحد كان عزت  
يقتحم المكتب و هو يهتف :  
- أنا يا دكتورة .. و بما أنك موجودة فلا داعي  
لإنكار نفسك مني .. لدي كلمتان فحسب ينبغي  
أن تسمعيهما قبل أن أذهب .

أشارت إلى السكرتيرة بالذهاب ؛ فغادرت  
المكتب و أغلقت الباب خلفها و هي تنظر إلى  
عزت بطرف عينا في ضيق .. ثم همست  
شيرين :

- يمكنك أن تقول ما تريده و أنت جالس ..  
أه ....

قاطعها عزت هاتفاً في ثورة :

- لا أريد أن أجلس .. أريد فقط أن أعذر ..  
أعذر يا دكتورة عن رأيي الساذج بك .. كيف  
توهمت أنك لا زلت نفس الشخص المستقيم  
الذي كنت أعرفه ؟ .. كيف تخيلت أنك لا  
زلت إنسانة بعد عشرتك الطويلة لكلب مثل  
حاتم ؟ .. أعذر عن مجيئي إليك يا دكتورة ..  
أعذر عن رأيي الغبي في نزاهتك و ضميرك  
المهني و الإنساني .. أعذر عن ....

قاطعته شيرين هاتفية في توتر :

- عزت اهدأ لو سمحت و دعني أفهم لما أنت  
غاضب لهذا الحد ؟ .. أنا لم أفعل شيئاً يمنحك  
الحق في أن تأتٍ لتهينني في مكثي و على  
مسمع من موظفين بهذا الشكل .

ضرب سطح المكتب بكف يده في غضب  
و هتف :

- كفى تمثيلاً .. أنا لست أحمقاً لأظل مخدوعاً  
بكِ لآخر عمري .. قناع البراءة الزائف لم  
يعد ليخدعني يا دكتورة .. في النهاية كلكم  
واحد .. مصنعون من نفس العجرفة  
و الجبروت و الكبرياء الأعمى .. مثلك مثل  
أبيكِ معالي الوزير السابق و زوجك  
السافل ...

نهضت شيرين و دارت حول مكتبها و هي  
تهتف في قلق :

- كفى يا عزت .. أنا لا أستحق منك التجريح  
أو الإهانة .. قل لي أولاً بماذا تتهمني ؟ ..  
على الأقل لأفهم سر الأحكام الأخلاقية التي  
أصبحت تطلقها ضدي جزافاً و ...

هتف عزت في حدة :

- امثال في المستشفى يا شيرين .. تعرضت  
لضربٍ مبرح و سقطت عمداً عن الدرج في  
شقة الزوجية التي اشتراها الباشمهندس  
باسمها .. من منكما صاحب الخطة الحقيرة

التي أفقدت المسكينة حملها و لا زال من  
الممكن أن تفقدها حياتها ؟

امتع وجه شيرين بشدة ؛ صدمها أن عزت  
من الممكن أن يفكر في أنها قد توافق  
أو تتواطأ على فعل بهذه الخسة و ازداد  
شحوبها عندما هتف عزت :

- أنا لن أسكت و حق امتثال لن يضيع هدراً ..  
سأذهب إلى النيابة حالاً و أقدم أصل العقد  
العرفي و أتهم حاتم باشا بإجهاضها .. أنا  
لن .....

قاطعته شيرين هاتفة في توسل :

- لا يا عزت .. أرجوك لا تفعل .

نظر إليها في ازدراء و هتف :

- هل يهملك أمره لهذا الحد ؟ .. زوجك مجرم  
و يجب أن يجد من يوقفه عند حده .

هتفت شيرين في توتر :

- أنت لا تعرفه لتحكم عليه .. حاتم ابن عمي  
و أنا عرفتة طوال حياتي و أعرف جيداً أنه  
لا يمكن أن يفعل شيئاً كهذا .. حاتم قد

يتصرف بقسوة أو عنجهية .. قد يتخذ قراراً  
طائشاً كقرار فصل العمال .. لكنه ليس  
مجرماً و لا يمكن أن يتصرف كالبلطجية ..  
صدقني يا عزت .. ثم لماذا يفعل ؟ .. في  
النهاية هذه الفتاة زوجته و هو واجهني بأن  
حملها منه و لم ينكره .. لو كان ينوي الغدر  
بها لما منحها منذ البداية عقد زواج مهور  
بتوقيعه و عليه شهود ؛ كما أنه ليس لديه  
أولاد ؛ فلماذا يحرم نفسه من أن يكون أباً  
لأول مرة في حياته ؟

أمسك عزت بذراعها في قسوة و هو يهتف :  
- إياك أن تدافعي عن زوجك النذل أمامي .

كان وجه عزت محتقناً و عيونه تشتعل  
بالغضب و الثورة .. بدا مخيفاً لكنها لم تكن  
تخشاه كما لم تكن تتألم من يده التي تطبق  
على ساعدها بقوة بل كانت تتألم لأجله .. بعد  
كل هذه السنين لا زال عزت يغار من حاتم  
و يكرهه ؛ غضبه و ثورته لم يكونا من أجل  
امتنال المسكينة بل من أجل كل المساكين  
المفترى عليهم ممن لديهم السطوة و المال  
و الجاه و لا ضمير لهم .. و من أجلها ..

أكان يعتقد أنها تدافع عن حاتم حباً له ؟ ..  
للأسف آخر شيء من الممكن أن تصرح له  
به هو أنه حب حياتها الوحيد و ليس في قلبها  
سواه .. أصبحت له حياة لا مكان لها بها و لن  
يكون لها بها مكان و لا تستطيع أن تنسَ هذا  
الآن أو أن تتجاهله .. همست شيرين :

- لا أدافع عنه لأنه زوجي بل لأنه ابن عمي ..  
و لم أقل ما قلته حباً له و لكن لأنني أعرفه ..  
و لا أظن أنه المجرم الذي في خيالك .

ترك عزت ساعدها و هو يهتف في ازدياء :  
- لا زلتِ تحاولين حمايته يا دكتورة لكن من  
الحماقة أن تتخلي أنني من الممكن أن أخذل  
موكلتي و أتخلَّ عنها في محنتها لمجرد أنكِ  
لا تريدين رؤية ذلك الحقيق على حقيقته .. هو  
أذاها و إذا كان بريئاً يمكنه أن يدافع عن نفسه  
أمام رئيس النيابة .

هتفت شيرين في توتر :

- لا يا عزت أرجوك .. لا تفعل .. صدقني لا  
أرغب في حمايته و لكنني أريد حمايتك أنت  
.. حاتم يكرهك بشدة و لا أريدك أن تضع  
نفسك في صدام معه .. هب أنك كنت محقاً

و كان هو بالفعل من اعتدى على امتثال  
و شرع في قتلها ؛ أظن أنه سيسمح لك أنت  
بالبذات بأن تقف في وجهه و تكشف عن  
إجرامه ؟ .. لا تعطه سبباً لإيذاءك يا عزت  
أرجوك .. أتوسل إليك .

ابتسم عزت و هتف في سخرية :  
- إذا فأنت لا تحمين زوجك النذل لكنك تحاولين  
حمائتي أنا .. أتريدني مني تصديقك ؟!

لمعت الدموع في عيونها و همست :  
- أرجوك صدقني .. أنا لا أريدك أن تتأذى ..  
تأذيت كثيراً بسببي في الماضي و خسرت  
الكثير و لا أريدك أن تتعرض للمزيد من  
الأذى من أهلي أو بسببي .. حاتم لا يهمني  
يا عزت في قليل أو كثير فكل ما يهمني هو  
أنت .

مد عزت يده و لمس قلاذتها بأنامله فارتجفت  
؛ لكنه بدا و كأنه لم يلاحظ هذا و هو يهمس  
و كأنه يحدث نفسه :



- لا زلتِ تحملين قلبي في رقبتك .. الأمانة التي  
وثقت بكِ و تركتها لديكِ لكنكِ سحقتها  
بقدميكِ بلا رحمة .

جذب القلادة فجأة فتمزقت في يده و جرحت  
عنق شيرين التي صرخت في ألم لم يبالي به  
عزت و هو يهتف في حدة :

- أنتِ أكبر كذابة عرفتها في حياتي .. خنتيني  
يا شيرين .. خنتيني و أنا في أسوأ أيام حياتي  
.. أدريتِ ظهرك لي بمنتهى البساطة  
و عشتِ حياتك و كأنني لم أعني شيئاً لكِ على  
الإطلاق .. و خنتِ زوجك المغفل بكل خسة  
و دناءة .. هل كنتِ تنامين في حضنه  
و قلبي في رقبتك ؟ .. هل كنتِ تفكرين فيما  
تتكرتِ له بيننا و أنتِ بين ذراعيه ؟ .. خسارة  
يا شيرين .. خسارة كل لحظة ضاعت من  
حياتي و أنا أفكر في امرأة منافقة مثلك .

ألقى القلادة في وجهها و غادر المكتب  
و تركها تبكي في لوعة .. كان يكرها  
و يحتقرها و يتهمها بالخيانة و هو لا يعرف  
كم تعذبت به و لأجله .. اللحظات التي يندم  
عليها لأنه أضاعها في التفكير فيها ماذا

تساوي أمام سنوات عمرها التي مرت و هي  
لا تفكر إلا به ؟ .. حتى الآن و هو يتهمها  
بمنتهى القسوة لم تفكر سوى في حمايته من  
حاتم و حمايته من نفسه .. هي لن تسمح له  
أبداً بأن يقف في طريق حاتم لذا مسحت  
دموعها و التقطت حقيبة يدها الصغيرة  
و حقيبة أوراقها و غادرت المكتب .

ذهبت إلى مقر النيابة العامة و طلبت مقابلة  
رئيس النيابة المسئول عن التحقيق في حادثة  
امنتال .. قابلها الرجل في ترحاب و هو  
يهتف :

- أهلاً بك يا دكتورة .. لم أكن أعلم أنني أتولى  
قضية لأحد موكلينك .

جلست شيرين و هتفت :

- لأنك لا تفعل .. هناك قضية تتولاها سيادتك  
خاصة بحادث التعدي على امنتال شعراوي  
و التسبب في إجهاضها .. و أظن أن لدي  
معلومات قد تلقي بعض الضوء على  
ملابسات الحادث و رأيت أن من واجبي  
إطلاع النيابة عليها .

أخرجت صورة العقد العرفي من حقيبتها  
و وضعتها أمامه على المكتب و هي تردف :  
- السيدة المذكورة هي الزوجة العرفية لابن  
عمي حاتم سعيد و هذه صورة من عقد  
الزواج .. باعتبار أن حاتم هو زوجي سابقاً  
كما أنني أمثله قانونياً منذ بضع سنوات لا  
يحق لي التقدم ببلاغ رسمي ضده أو أن أوجه  
له أي إتهام لكنني فحسب أحيط علم سيادتكم  
بأنه ربما لم يكن يرغب في إعلان زواجه  
السري أو الاعتراف بالجنين الذي تم إجهاضه  
و هذا قد يوحي بتوافر دافع يغري بإرتكاب  
الجريمة .

عندما غادرت شيرين النيابة كانت تعرف أنها  
قد فتحت على نفسها باب معركة مع حاتم قد  
لا تتمكن من إغلاقه أبداً لكنها لم تكن تهتم ..  
كل ما كان يهمها هو أنها قد قطعت الطريق  
على عزت حتى لا يتخذ أي إجراء ضد حاتم  
يجعله هدفاً لأحقاده .. حاتم لديه ألف سبب  
ليكره عزت و يرغب في نفسه من حياته  
و هي لا تريده أن يستعديه .. لا مانع لديها في  
أن يغضب حاتم منها أو يثور عليها أو حتى  
أن يحاول الانتقام منها فهي لم يعد لديها ما

تخسره أو تحزن لفقده .. صدق حاتم عندما  
ادعى أنها ميتة فقد ماتت بالفعل عندما ضاع  
منها عزت و خسرتة للأبد و الموتى لا  
يتألمون و لا يمكن إيذاءهم .

## الفصل الحادي عشر

قادت شيرين سيارتها في الشوارع المزدهمة على غير هدى حتى وجدت نفسها فجأة تتوقف عند شاطئ النيل في مكان طالما اعتادت أن تقابل عزت به .. نزلت من سيارتها و جلست على الكورنيش و هي تتأمل قارباً صغيراً به شاب و فتاة يتهامسان في حب ..

كانت هناك ذات يوم و معها عزت ؛ و كانت تشعر بأن القارب الصغير الذي يشق الماء هو كل العالم الذي تحب أن تحيا به إلى آخر العمر .

على بعد خطوات كانت هناك عربة صغيرة تباع حمص الشام و قد أطلق صاحبها صوت عبد الوهاب و هو يغني ( و الله ما أنا سالي ) فانهمرت الدموع على وجهها و هي تتحسر على عمرها الذي ضاع و شبابها الذي ولى و السعادة التي أصبحت مجرد ذكرى لأيام جميلة انتهت بسرعة و تركتها تتعذب وحيدة في ليالي الحرمان الطويلة الباردة .

رن جرس هاتفها الخليوي طويلاً لكنها لم تحاول استقبال المكالمات ؛ نظرة واحدة إلى الشاشة جعلتها تدرك أنها مكالمات دولية عبر البحار لن تتحمل أن

تتلقاها الآن .. تعرف أنه والدها يرغب في توبيخها على طلاقها من حاتم .. لم يمر على الطلاق سوى بضع ساعات لكنه علم به كما يعلم بكل ما يحدث هنا رغم أنه قد اختار الحياة في أوروبا منذ انتزعت منه ثورة ٢٥ يناير كرسي السلطة و عرضته لعدة محاكمات بآتهامات مختلفة برأته منها المحكمة جميعاً لكنه انسحب بعدها إلى أوروبا ليستمتع بما تبقى من شيخوخته هناك تاركاً خلفه ابنته الوحيدة بعد أن حطم حياتها بلا رحمة .

مهما مرت السنين لن تستطيع شيرين أن تسامحه على أنه قد عذب بها عزت و عذبا به ؛ و جعلها تختار بملء إرادتها أن تسير على الجمر و هي تضع نفسها رهينة في عصمة حاتم و تدفع بحبيبها إلى حزن صديقة عمرها مما تركها في النهاية تخسرهما معاً خاصةً عندما تدبرت لهما عقدي عمل في الكويت و منحتهما إلى رجاء و هي تؤكد عليها أنها يجب أن تسافر مع عزت لأطول مدة ممكنة .

أغمضت شيرين عيونها حتى تكف عن النظر إلى الشابين في قارب سعادتهما ؛ قلبها يتألم بشدة و هي تعترف بأنها وحيدة و ستظل وحيدة لأن عزت لن يسامحها أبداً على أنها قد تخلت عنه و سيظل يلومها

إلى آخر عمره و حتى لو سامحها فهذا لن يغير الواقع  
الذي ساهمت هي في صنعه ..

عزت لم يعد لها و ربما لم يكن يوماً لها فهو في  
النهاية زوج لفتاة كانت لها و ربما لا زالت بمثابة  
الأخت و لا تستطيع أن تفسد عليها حياتها أو أن  
تجرحها .. كل ما تتمناه هو أن يكونا قد وجدا معاً  
السعادة التي لم تستطع أن تحظ بها أو تمنحها للرجل  
الوحيد الذي أحبته طوال حياتها و لا للرجل الذي  
منحها اسمه و ظل لسنوات ينتظر أن تتغير دفة  
عواطفها ذات يوم و تشعر بوجوده .

- لا زلتِ تتذكرين ؟! .. ظننت أنكِ قد نسيتِ  
منذ وقتٍ طويل .

فتحت شيرين عيونها لتحقق في وجه عزت ..  
العيون التي كانت تضمها ذات يوم بكل حنان  
الدنيا و أسرها كانت تنتظر لها في سخط  
و برود لا يمكنهما إخفاء الألم و الحنين مهما  
حاول أن يخفيه ..

تنهدت شيرين و همست في أسي :  
- أنت أيضاً لا تزال تتذكر يا عزت و إلا لما  
كنت هنا الآن .

مد يده و التقط النظارة و أبعدھا عن وجهھا  
حتى يرى عيونھا الغرقى في الدموع بلا  
حواجز ؛ قبل أن يهمس :  
- دموعك المتدفقة تبدو صادقة كما لو كنتِ أنتِ  
الضحية يا شيرين .. من يراها لن يستطيع أن  
يصدق أنكِ قد ضحيتِ بكل ما بيننا بملء  
إرادتكِ .

أجفالت عندما لمس دموعھا و أشاحت بعيونها  
عنه بينما تأمل عزت القلادة التي تتدلى حول  
عنقھا و هتف في مرارة :  
- هل أصلحتيھا بهذه السرعة ؟ .. للأسف  
يا شيرين .. ليس كل ما فسد بيننا يمكنكِ  
إصلاحه بهذه السرعة .

أطبقت شيرين بأناملھا على القلب الذهبي  
و هي تهمس في ضراعة :  
- اتركھا لي يا عزت أرجوك .. هي كل ما تبقى  
لي فلا تحاول انتزاعھا مني .



هتف في لوعة :

- لماذا فعلتِ هذا بنا ؟ .. لماذا تخليتِ عن  
حبنا ؟

هزت رأسها نفياً بقوة و هتفت :

- لم أفعل .. صدقني لم أفعل .. أنا لم أتوقف  
عن حبك و لا للحظة واحدة يا عزت .. لا في  
الماضي و لا الآن و لا لآخر عمري .. حبك  
يتدفق في عروقي و يجري مع دمي في  
شراييني و لن يموت قبل أن أموت .. أنت لا  
تعرف كم أتعذب بحرمانك منك .. لا يمكنك  
أبداً أن تتخيل كم حطمني بعدي عنك .. لكنها  
الحقيقة .. حقيقة سأظل أتعذب بها وحدي  
لأنني خسرتك إلى الأبد منذ أصبح لك بيت  
و زوجة لسوء حظي لم تكن أنا .

كم كانت تتمنى لو ترتمي بين ذراعيه ؛  
لو كانت تستطيع أن تفرغ كل دموعها في  
صدره ؛ دموع كانت تنهمر على وجهها في  
غزارة و هي تشيح بعيونها عنه و تهمس :

- اذهب يا عزت .. اذهب أرجوك .. ما كان  
يجب أن تأتِ إلى هنا أصلاً ؛ لك حياتك فدع  
هذه الأطلال لي .. رجاء أحبتك بصدق

و وقفت بجانبك و شاركتك حياتك و مجرد  
حنينك إلى الماضي خيانة لها لا تستحقها .

رن جرس هاتفها فلوى عزت شفتيه و هو  
يستمع إلى الرنة .. صوت أم كلثوم و هي  
تعني جددت حبك ليه لم يكن الرنة المناسبة  
لهاتف محامية مشهورة .. أسرع شيرين  
تتلقى الاتصال لا شيء إلا ل تمنعه عن التعليق  
الذي قفز إلى شفتيه ثم إن المتصل لم يكن  
والدها بل كان سكرتير حاتم الذي أتى صوته  
مضطرباً و هو يهتف :

- تم استدعاء الباشمهندس إلى النيابة و هو في  
طريقه إلى هناك الآن يا دكتورة .. أنا لا ...

قاطعته شيرين هاتفه في حزم :  
- اهدأ .. مجرد استدعاء روتيني لأخذ أقواله  
و سيتم الإفراج عنه .. على كل حال سأرسل  
له محامياً من مكنتي ليحضر التحقيق معه .

أنهت الاتصال قبل أن يسألها الرجل لماذا لن  
تذهب إليه بنفسها ؛ ثم التفتت إلى عزت الذي  
كان ينظر لها في تساؤل فهتفت :

- حاتم في النيابة .. يتم استجوابه بخصوص ما تعرضت له امتثال .

قطب عزت جبينه و هتف في حيرة :  
- بهذه السرعة ؟ .. كيف أشارت له أصابع الإتهام ؟ .. أنا لم أقدم ببلاغ ضده بعد .

هتفت شيرين في حسم :  
- و لن تفعل .. دعك أنت بعيداً عن هذا الموضوع يا عزت أرجوك .. أنا قدمت صورة عقد الزواج إلى النيابة و سيسألونه عنه و هو لن ينكره .. لن يمكنني حضور التحقيقات معه لكنني سأرسل له محامياً كفوّاً من مكنتي و سيخرج من سرايا النيابة خلال ساعتين على الأكثر و بضمان محل الإقامة لأنه ليس هناك دليل على أنه مسئول عما حدث لها ؛ و حتى تستعيد امتثال و عيها و تنتهمه صراحةً لن توجه له النيابة أي إتهام .. هذا لو أنها اتهمته أصلاً لكنني واثقة من أنه برئ .. آسفة .. أنا لا أدافع عنه أمامك و لكنها الحقيقة .. أنا واثقة من براءته .

تأملها عزت و هو يهتف في استغراب :  
- واثقة من براءته و مع هذا أبلغت عنه بنفسك  
يا دكتورة ؟! .. أنا لا أفهمك .

نظرت في عينيه و هتفت في صدق :  
- فعلت هذا لأجلك .. لا أريدك أن تضع نفسك  
في طريق حاتم .. حاتم لن يعاملك بالوحشية  
التي عاملك بها أبي ؛ لكن أي رجل في مكانه  
و مكانته سيدد وسيلة للبطش بك إرضاءً  
لكبريائه .. و أنا .. أنا لا أريد أن أكون سبباً  
في إيذاءك كما كنت من قبل .. يكفي ما  
قاسيت منه بسببي و لن أستطيع التكفير عنه  
طوال حياتي .

نزلت شیرين عن سور الكورنيش و هي  
تردف :  
- يجب أن أذهب .

أمسك عزت ذراعها برفق ليمنعها عن  
الذهاب و هو يهتف :  
- هل لا زلت مهتمة بي يا شیرين ؟ .. كنت  
أظن أنني لم أعد أعني شيئاً لك منذ سنين .

كانت كل ذرة في جسدها تكاد أن تصرخ  
طالباً الرحمة و هي تشعر به قريباً منها لهذا  
الحد ؛ كادت أن تندس بين ذراعيه بحثاً عن  
الدفع و الأمان في حضنه لكنها لم تفعل بل  
أطرقت برأسها حتى لا تنظر في عينيه و هي  
تهمس :

- كنت و لا زلت و ستظل كل شيء بالنسبة لي  
يا عزت .. أقسم لك على أنني لم أتوقف عن  
حبك و لا للحظة واحدة مع أنني أعلم أنك لن  
تصدقني .

هتف عزت في مرارة :

- حب لم يمنعك عن أن تمنحي نفسك إلى حاتم  
.. حب لم يمنعك عن نفبي إلى الكويت .

حدقت في وجهه و قد هزتها المفاجأة فتنهد  
عزت و هتف :

- لا تندهشي .. رجاء أخبرتي أنك أنت من  
تدبرتي لنا عقدي العمل عن طريق علاقات  
والدك هناك .. لماذا فعلتي هذا يا شيرين ؟ ..  
هل خشيت إن أنا بقيت هنا أن تعودني إليّ  
نادمة أم أنك لم تتحملي أن تريني متزوجاً  
و سعيداً مع امرأة غيرك ؟ .

انهمرت دموعها مرة أخرى و هي تهتف :  
- بل لأنني أردت تعويضك و إبعادك .. أنت  
خسرت حلمك في العمل بالكلية أو النيابة  
و فكرت في أن عقد العمل قد يكون فرصة  
لتجني مالا لا بأس به يعينك على بناء  
مستقبلك و ربما فتح مكتب محاماة محترم في  
المستقبل .

أحاط وجهها بكفيه و مسح دموعها بإبهامه  
فارتعشت ؛ كان ينظر في عينيها و هو  
يهتف :

- لم تكوني مضطرة لتعويضني يا شيرين .. أنت  
رفضت التعيين في الكلية بعد استبعادي عن  
الترشح للوظيفة و هذا في حد ذاته جعلك  
بريئة من المشاركة في مؤامرة ذبح أحلامي .

سحب يديه فجأة و تراجع خطوة للوراء و هو  
يردف في مرارة :

- لكنك اغتلت قلبي بيديك يا شيرين .. قتلتي  
بلا رحمة و بدون تردد و لا أراك نادمة على  
هذا على الرغم من دموعك هذه .. لماذا  
يا شيرين ؟ .. لماذا فعلت هذا بنا ؟

همت بالابتعاد عنه فأمسك ذراعها بقسوة  
و هو يهتف :

- ليس بهذه السرعة .. بيننا حساب لم نسويه  
بعد .

انتزعت شيرين ساعدها من كف يده  
و أسرع نحو سيارتها و فتحت بابها لكنها  
قبل أن تركب بها كان عزت يمسك بالباب  
و هو يهتف في حدة :

- قلت أنك أردت إبعادي .. عم أردت إبعادي  
يا شيرين ؟ .. عنك أم عن والدك معالي  
الوزير السابق و زوجك الباشمهندس حاتم ؟

هتفت شيرين في انفعال :

- اسأل رجاء .. إذا كانت قد أفشت لك جزءاً  
من سرنا فقد كان عليها أن تبوح لك بكل ما  
تعرفه .

دخلت شيرين إلى سيارتها و جذبت الباب من  
يده لتغلقه في عنف ؛ و عندما كانت تدير  
محرك السيارة هتف عزت :

- لم يعد هذا ممكناً للأسف يا شيرين .. رجاء  
ماتت .

## الفصل الثاني عشر

أخذت شيرين تكي في حرقه فناولها عزت منديلاً قبل  
أن يدفعها برفق لتجلس على المقعد المجاور ثم جلس  
مكانها و انطلق بالسيارة .. ساد الصمت إلا من  
صوت نحيبها لبعض الوقت قبل أن تهمس :

- متى حدث هذا ؟

هتف في تجهم :

- منذ ثلاث سنوات .. عندما عدت من الكويت  
عادت معي في تابوت .. ماتت و هي تلد  
ابنتنا الوحيدة .. شيرين .

ارتعشت و همست :

- شيرين .. أسميت ابنتك شيرين .

أوقف عزت السيارة أمام البناية التي بها  
مكتبها ثم التفت نحوها هاتفاً :

- رجاء هي التي اختارت الاسم و أصرت عليه  
.. كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة في الحياة و هي  
توصيني بأن أسمى ابنتنا تيمناً باسمك و أن  
أقول لك أنها تشرك .. تشرك من قلبها على  
السعادة التي حظينا بها معاً بسببك .



شرد عقلها و هي تستعيد ذكرى ذلك اليوم  
الذي قابلت فيه صديقتها الوحيدة لآخر مرة ..  
أعطتها عقدي العمل و هي تهتف :  
- سافرا بأقصى سرعة يا رجاء .. أرجوك .. لا  
أريد أن يظل عزت قريباً من الأماكن التي  
تذكره بجرحي له كما لا أريده أن يظل  
عرضةً لبطش أبي أو حاتم به .. أريده أن يبدأ  
حياته من جديد و يجد السعادة التي يستحقها ..  
معك .

ضمتمها رجاء و هي تهتف :  
- سأظل مدينة لكِ بسعادتي لآخر لحظة في  
حياتي يا شيرين .. أنا أحب عزت و لم أكن  
أحلم بأن أتزوجه في يوم من الأيام لكنكِ  
جعلتِ الواقع أجمل من كل أحلامي .. يوماً ما  
سأعرف كيف أشكرك على ما تفعلينه معي  
الآن .

همست شيرين و هي تمسح دموعها :  
- الشكر الوحيد الذي أطلبه منك يا رجاء هو أن  
تجعليه سعيداً و ينساني .. امنحيه السعادة التي  
جعلتني الظروف أعجز عن أن أمنحها له  
و عوضيه عن كل الألم الذي تحمله بسببي .

كان عزت يتأملها في أسى قبل أن يربت على  
كفها لتفريق من شرودها و هتف :  
- شيرين .. أين ذهبت ؟ .. ألن تصعدي إلى  
مكتبك ؟

مد يده إليها بمفاتيح السيارة فأحاطت شيرين  
كفه بكلتا كفيها و هي تهتف في رجاء :  
- لا تتركني .. تعالى معي يا عزت أرجوك .

سحب عزت كفه من بين أصابعها فهتفت في  
لوعة :  
- ألم تقل أن بيننا حساباً و ترغب في أن  
نسويه ؟ .. أنا مستعدة لأن أسدد كل حساباتي  
القديمة فقط امنحني فرصة .. فرصة واحدة  
فحسب لأدافع عن نفسي .

ذهب معها عزت إلى مكتبها حيث طلبت من  
السكرتيرة ألا يزعجها أحد كما طلبت لهما  
القهوة التي وضعها العامل فوق المكتب ثم  
خرج بسرعة و أغلق الباب خلفه لكن شيرين  
ظلت صامتة و لم تقل شيئاً ..

جلست شيرين على المقعد الذي أمام مكتبها  
بينما ظل عزت واقفاً في منتصف الغرفة  
و هو يتأملها في هدوء قبل أن يهتف :  
- طال صمتك كثيراً يا دكتورة .. لا أتخيل أن  
محامية قديرة مثلك لا تجد ما تدافع به عن  
نفسها .

نظرت شيرين إلى عينيه .. تبحث عن بقايا  
عاطفة كانت تتوهج فيهما ذات يوم دفءاً  
و حناناً لكنها لم تجد سوى نظرات فاترة لا  
معنى لها جعلت قلبها يرتجف و هي تهمس :  
- كفاءتي كمحامية ليست هي من سينصفني  
يا عزت .. ينصفني قلبك لو أنه استطاع  
تصديقي .. أي كلام من الممكن أن أقوله  
سيظل مجرد كلام مرسل لا دليل عليه ..  
رجاء كانت شاهدي الوحيدة و لم يعد بإمكانها  
أن تؤمن على كلامي الآن .

ظهر على شفثيه شبح ابتسامة و هو يهتف :  
- و منذ متى تحتاجين إلى شهود ؟ .. لا زال  
قلبي يستطيع أن يعرف و يحكم هل تقولين  
الصدق أم تدعين كذباً يا دكتورة .

فكرت شيرين في أن الحواجز التي بناها القدر  
بينهما بدأت في الانهيار واحداً بعد الآخر ..  
تعرف الآن أن عزت لم يعد زوجاً كما أن  
حاتم قد طلقها هذا الصباح .. الآن كلاهما حر  
في اختيار الطريق التي يسير بها و الشريك  
الذي سيختاره لمرافقته عليها .. لكن ليس كل  
ما كان يقف بينهما هو زوجها السابق  
أو زوجته المتوفية .. بينهما جرح قديم لا  
تدري إذا كان عزت يستطيع أن يتخطاه  
أم لا .

طال صمتها و ترددتها فاقترب عزت منها  
و جلس على حرف مكتبها و مال نحوها  
هاتفاً :

- هل أقصر عليك الطريق و أقول أنا ما  
ترغبين في قوله ؟ .. سألتك لماذا تخليتِ عن  
حبنا مراراً لكنكِ في كل مرة كنتِ تتهرئين  
من الإجابة .. و أنا أعرف الإجابة .. رجاء  
أخبرتني بكل شيء قبل وفاتها يا شيرين .

حدقت شيرين في وجهه و همست في ذهنه :  
- كل هذا الوقت و أنت تعرف يا عزت .. ألهذا  
الحد لم تعد تستطيع أن تسامحني و تغفر لي ؟

انهمرت الدموع على وجهها لكنها لم تطفئ  
نار غضبه و هو يهب واقفاً و يجذبها من  
عضديها بقسوة و هو يهتف في ثورة :  
- كيف أغفر لكِ أنكِ قد ضحيتِ بحبنا  
يا شيرين ؟ .. حتى لو ضحيتِ به لأجلي ..  
منحتِ نفسك لرجلٍ غيري و لا يشفع لكِ أنكِ  
فعلتِ هذا حفاظاً على حياتي .. من قال لكِ أن  
الموت لم يكن أهون من أن أعيش مقهوراً  
و أنا لا أستطيع انتزاعك من حضن الرجل  
الذي ملكتيه رقبتيك و زمام أمرك و منحتيه  
كل ما وعدتيني بأن يكون لي أنا فحسب ؟ ..  
أنتِ حكمتِ على حبنا بالإعدام و الدوافع لن  
تغير شيئاً لأنني لن أستطيع أن أغفر لكِ هذا  
أبداً مهما كنتِ أحبك .

ثورته في وجهها لم تكن تعلن عن غضبه  
منها بقدر ما كانت تكشف عن الحب الكبير  
الذي لا زال يزلزل كيانه ؛ اعتراف ليس  
بكلمات الحب المعهودة لكنه كان كافياً ليعيد  
الروح إلى شيرين التي ارتمت بين ذراعيه  
و هي تبتسم في سعادة ..

أراد عزت أن يدفعها بعيداً عنه .. كل ذرة في عقله كانت تصرخ به بأن هذه ليست شيرين التي أحبها و تعذب بفقدائها لسنوات طويلة مضنية بل هي امرأة غريبة عنه .. زوجة لرجلٍ آخر و لا حق له عليها ..

لأول مرة انهزم عزت أمام القلب الذي يتمزق بالشوق إليها منذ سنين و تجاهل صوت عقله .. ضمها إلى صدره بقوة قبل أن يقبلها في حرارة جعلت جسدها يرتعش و وجهها يتوهج .. توقف عن تقبيلها و نظر في عينيها و هو يهمس :

- لم أقبلك من قبل قط .. لا تعلمين كم كنت أتوق لتلك القبله .

همست في أسي :

- لكك قبلت امرأةً غيري .. تزوجتها و أنجبت منها ...

أعادته إلى الواقع المر حتى أنه قد دفعها بعيداً عنه و هو يهتف في حدة :

- أنتِ السبب .. أنتِ زرعتيها في حياتي و أنتِ تقتلعين نفسك منها و اخترتِ أن تعيشي مع

رجلٍ غيري .. رجاء ماتت لكناك لا زلت ملكاً  
للباشمهندس و هذا ....

وضعت أصابعها على فمه فبتر عبارته  
و نظر إليها في سخط فابتسمت هاتفة :  
- لم أعد ملكاً لأحد .. و لم أكن يوماً ملكاً لأحد  
سواك .

سحبت أناملها و هي تردف :  
- حاتم طلقني هذا الصباح .. أنا الآن حرة كما  
أنت حر .. لا أحد سيستطيع أن يقف بيننا أو  
يعذبنا بالبعد و الحرمان بعد الآن يا عزت .

زفر عزت في حرارة و لاذ بالصمت ؛  
فوضعت شيرين كفيها على صدره و نظرت  
في عينيه و هي تهمس :  
- ألا تريد أن تغفر الماضي و تتخطاه ؟ .. أنت  
عشت لسنوات طويلة في حزن امرأة غيري  
.. عرفت معها طعم السعادة و استمتعت  
بحياتك و أنجبت منها و مع هذا أنا لا ألومك  
يا عزت .. يعلم الله كم كنت أحترق في كل  
لحظة و أنا أتخيلها بين ذراعيك لكنني كنت  
أبتهل لأن تجد معها العزاء و السلوى

و السعادة .. ارتضيت شقائي و حرمانني منك  
و تمنيت أن تجد أنت السعادة معها .. مع أنني  
لم أستطع أن أنساك و لا للحظة واحدة و لا  
أن أكون لأي رجلٍ غيرك حتى لو جمعت  
بيني و بينه ورقة يعتبرها الناس و القانون  
زواجاً .

حق عزت في وجهها في ذهول فتنهدت في  
حرارة و أمسكت بقلادتها و هي تردف :  
- صدقني يا عزت .. أنا لم أستطع أن أمنح  
نفسي لأي رجل حتى لو كان زوجي لأن قلبك  
ظل أمانة عندي و لم أستطع أن أضحي به  
حتى بعد أن قهرتني الظروف و جعلتني أحرم  
نفسي من وجودي معك .

زفر عزت في حرارة قبل أن يبتعد عنها ؛  
جلس على طرف الأريكة التي في جانب  
الغرفة و هو يفكر في أن قلبه يصدقها رغم  
أن كل كلمة نطقت بها لا يمكن تصديقها ..  
عقله لا يستطيع أن يصدق أن رجلاً في  
عنفوان شبابه مثل حاتم و له زوجة فاتنة في  
جمال شیرين يستطيع أن يعف عنها لسبع



سنوات كاملة .. لو كان قديساً ما كان يمكنه  
أن يفعل هذا .

ظل عزت شارداً فهمست في لوعة :  
- ألا تصدقني أم أنك لم تعد تحبني ؟ .. هل  
غيرت السنين التي فرقت بيننا قلبك و محبت  
حبي منه ؟ .. هل فات أوان أن نكون معاً  
أم أن قدرتي هو أن أظل أكتوي بنار حرمانتي  
منك لأخر عمري ؟

أجهشت بالبكاء فزفر عزت مرة أخرى قبل  
أن ينهض و يقترب منها .. أحاط وجهها بكفيه  
و نظر في عينيها و هو يبتسم في حنان ..  
ابتسامة لمست قلبها فكانها أحيتة بالأمل من  
جديد .. و هتف عزت :

- هل لديك ذرة شك واحدة في أنك حب حياتي  
يا شيرين ؟ .. كدت أن أفقد عقلي كلما فكرت  
في أنني قد خسرتك إلى الأبد و أنك قد  
اخترت أن تنبذيني لتعيشي مع رجل آخر  
محاني من قلبك و استولى على كل ما  
وعدتني بأن تحفظيه لأجلي .. ما لا أستطيع  
تصديقه فعلاً هو أن حلمنا لا زال ملكاً لنا

و أنك لا زلت ملكي و لي حتى بعد كل هذا  
الفراق الطويل .

وضعت شيرين أناملها على كفيه و هتفت :  
- ما الذي لا تصدقه يا حبيبي ؟ .. أنني لم  
أتوقف عن حبك و لا للحظة واحدة أم أننا لا  
زال بإمكاننا أن نكون معاً أخيراً بعد هذا  
الفراق الطويل ؟ .. صدقني يا عزت .. أنا  
أيضاً لم تكن لديّ ذرة أمل واحدة في أن تعود  
لي أو أن تسامحني على الماضي و ويلاته ..  
ظننت أنني قد خسرتك إلى الأبد و أن قلبك قد  
برأ من حبي و نبذني .

هتف عزت في صدق :  
- لا يا شيرين .. قلبي لم يستطع أن يبرأ من  
حبك و لا أن يكف عن تعذيبي و لا للحظة  
واحدة .. لكن الغيرة قتلتني آلاف المرات  
و عندما كنت أراك في المحكمة كنت أحرص  
على ألا تقع عيونك عليّ حتى لا أضطر  
للاقتراب منك أو الحديث معك .. خفت أن  
أخنقك لتهدأ ناري .

## الفصل الثالث عشر

ابتعدت شيرين عن عزت خطوتين و احمر وجهها  
عندما علت طرقات على باب المكتب ؛ ثم دخلت  
السكرتيرة بخطا مترددة و هتفت :

- أسفة على الإزعاج يا دكتورة و لكن الأمر  
يستحق .. أتاكِ استدعاء للمثول أمام النيابة  
صباح الغد .

التقطت شيرين الاستدعاء من يد السكرتيرة  
و قرأته قبل أن تلتفت لها و تهتف مبتسمة :  
- لا بأس يا هبة .. لكن لا تطرقي هذا الباب  
مرة أخرى قبل أن يكون لديكِ كتيبة عسكرية  
تأمر بإلقاء القبض عليّ .

نظرت إليها هبة في استغراب فلم تكن شيرين  
من النوع الذي اعتاد أن يمزح لذا لم تكن  
واثقة مما إذا كانت تأمرها بهذا فعلاً أم لا ..  
احمر وجه هبة و غادرت المكتب بخطا  
مرتبكة بينما اقترب عزت من خلف شيرين  
و أحاطها بذراعيه و همس في أذنها :  
- هل يعني هذا أننا لم ننته من تسوية حساباتنا  
بعد يا دكتورة ؟

استرخت بين ذراعيه و أمالت رأسها لتتنظر  
إلى عينيه و تهتف :

- لا .. ليس بعد .. تخلصت من قداحتي فلا تقل  
أنك لم تنساني .

قبل عزت شعرها و همس في حنان :  
- بل أحفظها بجوار قلبي .. يا حبيبة قلبي .

التفتت شيرين بين ذراعيه و مدت يدها  
تتحسس جيب قميصه فعثرت عليها .. لمعت  
الدموع في عيونها قبل أن تنهمر و همست :  
- كم أنا سعيدة لأنك لا زلت تحتفظ بها .

مسح عزت دموعها و هتف في حنان :  
- ما كنت لأستطيع ألا أفعل .

قبل جبينها قبل أن ينظر إلى الاستدعاء الذي  
في يدها في قلق فهتفت :  
- هذا بخصوص قضية امتثال .. يبدو أنهم  
يرغبون في إعادة استجوابي بخصوص  
البلاغ الذي قدمته .

هتف عزت في جدية :

- هذا يعيدنا إلى حاتم .. وقوفك في النيابة أمامه خاصة بعد ساعات من طلاقكما سيغضبه بشدة و الله وحده هو الذي يعلم ما الذي سيفكر في أن يفعله انتقاماً منك .. ثم إنني لا زلت لا أفهم .. كيف ظل زواجكما صورياً طوال هذا الوقت ؟ .. و كيف يقبل حاتم وضعاً كهذا ؟ .. هذا غريب و غير مفهوم .

كان حاتم هو آخر ما ترغب شیرين في الحديث عنه لكنها مع هذا هتفت :

- أنا لا شيء بالنسبة إلى حاتم يا عزت .. كل ما يهمه هو حصتي في المؤسسة و ما دمت أتركها تحت تصرفه فهو لن يحاول أن يقف في طريقي أو أن يفعل المشكلات معي .

بدا قولها منطقياً لكن عزت لم يقتنع به بل كانت مخاوفه تزداد و هذا ما جعله يهتف :

- سأفترض أن دافعه الوحيد هو السلطة التي يمارسها على مالك و التي كانت مطلقة في يده أثناء زواجكما .. هذا في حد ذاته كان سبباً كافياً لأن يماطلك في موضوع الطلاق و هذا ما لم يفعله .. أم أنه قد فعل ؟

هزت شيرين رأسها نفيًا بقوة و هتفت في  
حيرة :

- في الحقيقة لا .. طلبت منه الطلاق ليلة أمس  
لأول مرة منذ زواجنا و كان أول ما فعله في  
الصباح هو أن ذهب معي إلى المأذون  
و نفذ طلبي ببساطة لم أكن أتخيلها .. حتى أنه  
لم يأتِ على ذكر المؤسسة أو حصتي بها  
أو طريقة إدارتها فيما بعد .. بدا و كأنه هو  
أيضاً يتوق للخلاص من ارتباطنا السخيف  
حتى أن أول ما بدر إلى ذهني هو أنه سيعلن  
زواجه من امتثال و سيعترف بحملها .. لا  
أنكر أن هذا التصرف يبدو غريباً بعض  
الشيء خاصةً بعد ما تعرضت له امتثال من  
إيذاء و لكن ...

ابتسمت و أحاطت عنقه بذراعيها و هي تهتف  
في سعادة :

- أنا لا يهمني لما منحني حريتي فكل ما يهمني  
هو أنني قد أصبحت حرة .. أخيراً حرة ..  
و لأول مرة في حياتي لا أحد سيقهرني  
أو يمنعني عن أن أختار الرجل الوحيد الذي  
أسرني حبه و سيظل يمتلك قلبي و كل  
عواطفني لآخر عمري .. أشعر بأنني قد مت

منذ سنين و أنت ستعيد إليَّ حياتي يا عزت  
و ستحيني من جديد .

قبلها عزت في حرارة قبل أن يتوقف عن  
تقبيلها فغمرت وجهها في صدره و تركته  
يضمها بقوة قبل أن يهتف :

- يا الله .. لا أتخيل أنني سأتحمل أن أنتظر  
لثلاثة أشهر أخرى .. ستكون هذه أطول ثلاثة  
أشهر في حياتي .

هتفت شيرين في أسي :

- أتقصد أشهر العدة ؟ .. لديك حق .. سنضطر  
للاتنتظار حفظاً للمظاهر فأنا لا أحب أن أسبب  
حرجاً لـ حاتم أو أن نكون موضع انتقاد ..  
و لولا أنني أخشى أن نتعرض للقليل و القال  
لقلت لك دعنا نتزوج الآن و بدون تأخير ..  
ضاع من عمرنا الكثير و لا أرغب في  
إضاعة المزيد و لكن ..

انتزع عزت نفسه بعيداً عنها و نظر في  
عينها هاتفاً في توتر :

- كيف نتزوج الآن ؟ .. شيرين .. هل تقولين  
أن وثيقة طلاقك .... ؟ .. لا أصدق .

تنهدت شيرين و هتفت :

- لديك حق .. أنا أيضاً فوجئت عندما أقر حاتم أمام المأذون بأن الطلاق قد وقع قبل الخلوة الشرعية لكنني سررت لأن هذا يجرده من حقه في الرجعة .. أنا فعلاً حرة يا عزت و حاتم لم يعد له وجود في حياتي .

قطب عزت جبينه و اكفهر وجهه فهتفت  
شيرين في قلق :

- ما بك ؟

أشعل عزت سيجارة و هتف في عصبية :

- هذا لا يروق لي يا شيرين .. موقف حاتم غريب و محير و يزعجني .. أنا لا أصدق أنه قد فعل هذا بحسن نية و من باب النزاهة و الإعتراف بالأمر الواقع فحسب .. لا أحد يحب الإعتراف بإخفاقه أو خسارته و حاتم لم يكن مضطراً لأن يفعل هذا في محرر رسمي ؛ فلماذا فعله ؟ .. أخشى أنه يقصد شيئاً لا نفهمه و ربما يضمّر لكِ شراً لا نتوقعه .



ابتسمت شیرین و هتفت :

- لما لا تكف عن التفكير في حاتم ؟ .. أنا لا أدافع عنه يا عزت صدقني و لكن .. حاتم ابن عمي .. و على الرغم من أنني لسبب لا أعرفه لم أستلطفه قط ؛ و على الرغم من أنني لا أنكر أنه شخص محير و تصرفاته غير مفهومة كما أنه شخص بارد و متهور و متقلب المزاج و لا يمكن تصنيفه أو الحكم عليه بسهولة .. مع كل هذا لا زلت أرى أنك تبالغ في قلقك منه و شكك به .. سيسعدني تفسير هذا بأنك لا تحبه أو تغار منه بسببي و لكن .. يظل أهم شيء لدى حاتم هو المؤسسة و أنا لا أنوي أن أرفع يده عنها أو أن أزاحمه في إدارتها أو أن أسبب له أية مشاكل من أي نوع .. أنا لا تهمني المؤسسة .. و لا تهمني كل الثروة التي تركها أبي باسمي و لا حتى المكسدة باسمه في مصارف أوروبا ؛ و لا مانع لديّ من أن أتنازل عن هذا كله لـ حاتم أو لأبي .. كل ما أريده هو حقي في أن أكون معك .. أحبك يا عزت .. أحبك أكثر مما يمكنك أن تتخيل .

ضمها عزت إلى صدره بقوة و هو يهمس :  
- و سنكون معاً يا حبيبتي و سنظل معاً للأبد ..  
لن أسمح لأبيك و لا لحاتم و لا لأية قوة في  
هذا الكون بأن تفرق بيننا من جديد .

طرقت السكرتيرة باب غرفة المكتب مرة  
أخرى فابتعدت شيرين عن صدر عزت  
و وجهها يتوهج ..

أطلت السكرتيرة برأسها و كأنها تستأذن في  
الدخول فأشارت لها شيرين بأن تفعل فدخلت  
هبة و هتفت :

- أسفة يا دكتورة و لكن .. انصرف كل  
المحاميين و مر على موعد غلق المكتب  
نصف ساعة و .. هل يمكن أن أنصرف  
أم .... ؟

التقطت شيرين حقيبة يدها و كذلك حقيبة  
أوراقها و هتفت :

- أنا سأنصرف لذا لا داعي لبقاءك .. هيا  
يا عزت .. دعنا نكمل حديثنا في مكانٍ آخر .

غادرت المكتب مع عزت الذي هتف :  
- ما زالت سيارتي عند شاطئ النيل .. هل  
تقليني إلى هناك ؟

ألقت إليه شيرين بالمفاتيح و هتفت مبتسمة :  
- بل تقودنا أنت إلى هناك .. أنا جائعة ؛ أكاد أن  
أموت جوعاً .. لم يدخل جوفي لقمة واحدة  
منذ الأمس ؛ فلما لا تدعوني للعشاء ؟ .. على  
شرط .. طبق كشري من عند أبي طارق كما  
في الماضي .

ضحك عزت و هتف :  
- هذا فحسب .. و ماذا عن أرز باللبن و حمص  
الشام ؟ .. عموماً .. الظروف تغيرت الآن  
و أستطيع أن أوفر لك عشاءاً في أفخم مطعم  
تختارينه ؟

تنهدت شيرين و هتفت :  
- و من يرغب في الأماكن الفاخرة ؟ .. لا  
أجمل من المكان الذي كان يجمعنا معاً ..  
هناك عند كورنيش النيل .. بعيداً عن كل  
الناس و قريباً من الذكريات التي لا تنسى .

في الثانية صباحاً كان عزت يقف مستنداً إلى  
سور الكورنيش و هو يشرب حمص الشام  
و يبتسم في سعادة .. كان يتأمل شيرين التي  
بدت و كأنها فتاة مختلفة تماماً عن التي قابلها  
منذ أيام قليلة في المحكمة بعد أن أطلقت  
سراح شعرها الناعم و تركته يتطاير مع  
نسמת الليل الباردة في حرية ..

كانت قد خلعت نظارتها المعتمدة و ألقته في  
حقيبة يدها لذا كان يرى عيونها التي أشرقت  
بابتسامة تشع دفءاً و صفاءً و هي تدندن مع  
الأغنية التي انبعثت من مكبر الصوت بعربية  
حمص الشام .. كانت نجاة تغني ( لو يطول  
البعد ) و شيرين تغني معها :

- يا حبيبي في يوم ما ترجع  
كل طير يرجع لعشه .  
كل من فارق هيرجع  
بس ترجع يا حبيبي .

ابتسم عزت و هتف :  
- هل تعلمين كم الساعة الآن ؟ .. الجو شديد  
البرودة ثم .. ألا تشعرين بالنعاس ؟

هزت رأسها نفيًا و أحاطت عنقه بساعديها  
و هي تهتف :

- لا أعلم كم الساعة الآن و لا أريد أن أعلم ..  
أتمنى لو تتوقف كل ساعات الدنيا عن العمل  
أو تتوقف الأرض عن الدوران لنظل عالقين  
معاً هنا إلى ما لا نهاية .. و لا أشعر بالبرد  
و أنت معي .. ذابت ثلوج الدنيا كلها و تبدد  
صقيع حياتي و أنا أنظر في عينيك .. فيهما  
حنان يستطيع أن يدفني إلى آخر عمري ..  
و لا أشعر بالنعاس .. كيف أغمض عيني  
و لا أراك أمامي و لو للحظة واحدة ؟ .. ألا  
تعرف كم أشتاق إليك ؟

ثم أشارت إلى عربية حمص الشام و هتفت :  
- ثم إنني لن أتحرك من هنا قبل أن تنته الأغنية  
فأنت تعلم كم أحبها ..

ثم أخذت تغني مع نجاة :  
- أصدق لو قالولي الشمس نسيت مرة تطلع في  
الميعاد ..  
و أصدق لو قالولي النجمة تنسى الليل وتفضل  
ع البعاد ..

أصدقهم أصدق أي شيء ينقال

و لو قالوا اللي عمره يا عيني ما خطر على  
بال ..

مكذبهمش إلا لو قالوا إنك يوم هتتساني

أكذبهم و أكذبهم و أقول ... قولولي كلام ثاني

.

حملها عزت بين ذراعيه و سار بها نحو  
سيارتها و وضعها بها برفق و هي لا تزال  
تغني :

- آه يا عيني على العشاق

آه يا عيني من الأشواق .

حالفين لا يبهدوا و لا يتوبوا

و يقولوا ع النار أشواق .

## الفصل الرابع عشر

تجاهل عزت سيارته للمرة الثانية و ركب في سيارة  
شيرين و انطلق بها و هي لا تزال تغني فقهه ضاحكاً  
و هتف :

- لا أعرف عن حمص الشام أنه يذهب العقل  
لكنك تبدين بالفعل و كأنك سكرانة .

هتفت شيرين في نشوى :

- ذهب عقلي بسببك .. أسكرتني سعادتي بقربك  
.. أسكرني حبك .. و لا أريد أن أستعيد عقلي  
أبدأ و لا تجعلني أفيق من هذه النشوة .. أنا  
أسعد من على ظهر هذه الأرض الآن ؛ فلما  
لا أغني ؟ .. دعني أغني و غني معي .

أعقت قولها بتشغيل جهاز ال دي في دي  
و انطلق منه صوت نجاة و هي تغني ( قصص الحب الجميلة ) فضحك مرة أخرى و  
هتف مازحاً :

- بدأت أظن أنك مغرمة ب نجاة لا بي أنا ..  
قولي لي .. ماذا سن فعل الآن ؟ .. لدي جلسة  
في محكمة الجنايات و لن تحبي أن أخسرها  
لذا لن يمكننا أن ندور في الطرقات و غني

طوال الليل كما أن لديك تحقيق في النيابة في  
العاشرة صباحاً .. نحتاج لأن ننام و لو  
لساعتين .

تنهدت شيرين و هتفت في تذمر :  
- فليكن .. خذني إلى القصر ثم عد إلى بيتك .

قطب عزت جبينه و هتف في ضيق :  
- هل ستذهبين إلى القصر ؟ .. طليقك يقيم هناك  
و ليس من اللائق أن تقيمي معه في نفس  
المسكن حتى لو كانت ملكيته مشتركة بينكما .

ضحكت شيرين و هتفت :  
- لا زلت كما أنت يا عزت و لم تتغير و لا  
أريدك أن تتغير .. و اطمئن .. لا أحب شيئاً  
أكثر من أن أترك القصر و لا أعود إليه أبداً  
لذا سأجمع ثيابي و أنتقل للإقامة في أي فندق  
حتى أجد مكاناً أستقر به .

هتف عزت مبتسماً :  
- أو حتى نتزوج .



تنهدت شيرين و همست :  
- بلى .. حتى نتزوج .. كم أن للكلمة وقع جميل  
و غريب على أذني !! .. و كأنها حلم كنت قد  
يئست من تحقيقه .

أمسك عزت بأناملها و ضغطها في كفه برفق  
و هو يهتف :  
- بل أمل أن أوان تحقيقه و لن نسمح لأية قوة  
بانتزاعه منا أبداً .. أعدك بهذا يا شيرين .

قاد سيارتها حتى القصر و ظل ينتظرها  
لدقائق معدودة في السيارة حتى ذهبت إلى  
غرفتها و جمعت ثيابها و حليها في حقيبة  
كبيرة قبل أن تنزل إلى الردهة ..

وقفت شيرين تتأمل الصورة الضوئية الكبيرة  
لوالدها و هي تفكر في أنه سيظل لاهياً في  
أوروبا و لن يفكر في أن يقطع مسيرة  
استمتاعه بشيخوخته ليعود إلى القاهرة ليسحق  
قلبها من جديد .

غادرت القصر و وضعت حقيبتها في السيارة  
التي انطلق بها عزت بينما أغمضت شيرين

عيونها و هي تفكر في أنها لا ترغب في  
العودة إلى هذا المكان مرة أخرى أبداً ..  
انتهى أسرها به و تحطمت قيودها أخيراً و لن  
يسمح عزت بأن تعود أسيرة لتعاستها  
و لبرودة ليالي الحرمان التي لم ترحمها .

فتحت شيرين عيونها عندما توقفت السيارة ؛  
نظرت إلى البناية التي توقفت السيارة أمامها  
في حيرة إذ لم تكن فندقاً كما توقعت ثم التفتت  
إلى عزت الذي هتف :

- شقتي في الطابق الثالث .. تقيم بها أُمي معي  
لترعى شيرين و فكرت في أنه من الممكن أن  
تقيمي معها مؤقتاً و سأنتقل للإقامة في مكتبي  
حتى يتم زواجنا .. بصراحة فكرة إقامتك  
وحدك في فندق لا تعجبني .. صحيح أن بيتي  
متواضع جداً و لا يقارن بالقصر الذ.....

بتر عبارته عندما وضعت شيرين كفها على  
شفتيه و هتفت في حرارة :

- و ماذا تساوي كل قصور الدنيا إذا قارنتها  
بالجنة ؟ .. بيتك جنتي التي ظلت محرمة عليّ  
و لا أصدق أن رحمة القدر قد كفرت ذنوبي

و عفت عن خطايايا و سمحت لي بدخولها  
أخيراً .

قبل عزت كفها و أزاحها عن فمه ليهتف :  
- أمي سيدة طيبة و ستحبينها و شیرين هي  
ألطف طفلة من الممكن أن تقع عليها عيونك  
و أنا سأكون مطمئناً أكثر إذا عشتِ معهما  
و سأكون قريباً دوماً منكن .

هتفت شیرين مبتسمة :  
- لكن هل تعرف كم الساعة الآن ؟ .. قد تكون  
أمك نائمة الآن و سيكون الأمر محرراً إذا  
استيقظت و وجدتني أتطفل على بيتها .. ماذا  
ستقول عني ؟ .. لا تنسَ أن الانطباعات  
الأولى تدوم و لا أريدها أن تستاء مني .

ترجل عزت من السيارة و دار حولها ليفتح  
لها الباب ثم مد لها يده و هو يهتف :  
- أمي لا تنام قط قبل عودتي ؛ و لا ريب من  
أنها تصلي الفجر الآن .. ثم إنها تعرفك جيداً  
يا شیرين و تعرف من أنتِ بالنسبة لي ..  
صحيح أنها لا تعرف بموضوع طلاقك

و خطبتنا لكن هذا الخبر سيسعدنا بأكثر مما  
يفاجئنا حتماً .. تعالى .

تعلقت في ذراعه بينما حمل حقيبتها باليد  
الأخرى و أخذها إلى شقته .. الجنة التي لم  
تكن تجرؤ على أن تحلم بدخولها .. كانت أمه  
تصلي كما توقع فوضع حقيبتها على الأرض  
و أغلق باب الشقة خلفهما و دعاها للدخول ..  
وقفت شيرين تتأمل ما حولها قبل أن تهمس :  
- هذا ليس حلماً يا عزت ؛ أليس كذلك ؟ .. قل  
أنني لا أهلوس .

ضمها عزت إلى صدره و لثم شعرها و هو  
يهمس :  
- أعذك بأنه من الآن فصاعداً ستكون حياتنا معاً  
أجمل من كل أحلامك .

ختمت الأم صلاتها و طوت سجادة الصلاة  
و وقفت مشدوهة تتأمل ابنها و الفتاة التي  
يضمها إلى صدره في استنكار قبل أن تبعد  
شيرين عن صدر عزت و وجهها يتوهج  
بحمرة الخجل .. نظرت إليها الأم في دهشة

ثم انفرجت أساريها بابتسامة عريضة و هي تهتف :

- شيرين .. أنتِ شيرين .. أعرفك من صورتك التي لا تفارق جيب قميصه .. يضعها مع الولاة قريباً من قلبه دوماً .. أهلاً بكِ يا ابنتي .

هتف عزت في سرور :

- شيرين خطيبيتي الآن يا أمي و أريدها أن تظل في رعايتك يا ست الكل و سأنتقل للإقامة في مكتبي حتى تنتهي أشهر عدتها .. سأحزم حقيبي بسرعة و أنصرف و أترككما تتعرفان على مهلكما .

دخل عزت إلى غرفته فشعرت شيرين بأنها وحيدة و مهجورة و كادت أن تستوقفه لولا أن الأم قد فتحت ذراعيها و هي تبسم في حنان فارتمت شيرين في حضنها و تركتها تضمها بقوة و هي تهتف :

- نورِ بيتك يا ابنتي .. عزت أرمل منذ سنين و أن الأوان ليستأنف حياته من جديد خاصةً معكِ أنتِ بالذات .. لا تعلمين كم يحبك .

كانت المرأة لطيفة و أحببتها شيرين بصدق ؛  
شعرت في حضنها بدفع حضن الأم الذي لم  
تحظ به قط و عندما انصرف عزت دخلت  
إلى غرفته و ارتمت في فراشه .. ضمت  
شيرين الوسادة إلى صدرها و هي تتنهد في  
حرارة .. لا تصدق أنها تنام في غرفة عزت  
و في فراشه و لن يمر وقت طويل قبل أن  
يشاركها فيهما و لن تستطيع قوة في هذا  
الكون أن تحرمها منه و من وجوده معها .

لأول مرة منذ سنين أغضت شيرين عيونها  
و نامت نوماً عميقاً لا تتخلله الكوابيس و لم  
تستيقظ إلا عندما شعرت بشفاه ناعمة تقبل  
خدها و يد رقيقة تهزها برفق ..

فتحت شيرين عيونها و نظرت إلى الطفلة  
ذات الثلاث سنوات و التي بالكاد كانت  
تستطيع أن تفهم ما تقوله و هي تتمتم :  
- تقول جدتي أنني يمكن أن أناديكِ ب ماما ..  
هل أنت أمي ؟

نهضت شيرين و مسحت بيدها على شعر  
الطفلة ثم اغرورقت عيونها بالدموع و هي  
تهمس :

- كم تشبهين رجاء !! .. لكِ نفس عيونها  
وابتسامتها الصافية .. وحشتني .. وحشتني  
جداً .. الله يرحمها .

ثم جذبت الطفلة و ضمتها إلى صدرها بقوة  
و هي تهتف :

- قلولي ماما كما تريدين فأنا من الآن أمك  
و أنتِ سلوايا و عوضني عن أغلى أخت  
حظيت بها في حياتي و خسرتها بسبب  
الظروف .

همست الطفلة في حيرة :

- لماذا تبكين ؟

حاولت شيرين أن تمسح دموعها و هي  
تهتف :

- لأنني سعيدة .. تغلبني دموعي دوماً عندما  
أفرح يا شيرين .. و أنا سعيدة لأنك في  
حضني الآن و أعدك بأن تظلي في حضني  
حتى أموت .

ابتسمت شيرين و هتفت :

- تعالي لتلعبى معى .

قبلت شيرين جبين الطفلة و هتفت :

- سنلعب معاً كثيراً لكن ليس الآن .. أنا مضطرة للذهاب الآن لكننى لن أتأخر عليكِ و عندما أعود سأأخذك معى إلى الملاهى و سنلعب هناك كما تشائين .. هذا وعد .

هتفت شيرين فى فضول :

- و هل سىذهب أبى معنا ؟

هزت شيرين رأسها و هتفت :

- طبعاً .. إذا لم يكن لديه عمل .

قطبت شيرين الصغيرة جبينها تماماً كما يفعل

والدها عندما يستاء و هتفت :

- و هل هو فى العمل الآن ؟ .. أريده أن يتناول الفطور معى .



نهضت شيرين و هي تهتف في حماس :  
- أنا سأتناول الفطور معك .. امنحيني خمس  
دقائق فحسب لأستعد للخروج ثم سندخل إلى  
المطبخ و نعد الفطور معاً .. اتفقنا .

## الفصل الخامس عشر

ارتدت شيرين ثيابها و هي لا تزال تثرثر مع الطفلة  
ثم حملتها و خرجت إلى الردهة و هما تضحكان معاً  
في سرور .. رقص قلب شيرين فرحاً عندما وجدت  
عزت موجوداً و ينظر إليها في ابتهاج قبل أن يحمل  
ابنته عنها و هو يهتف :

- صباح الخير .. لم أستطع أن أذهب إلى  
المحكمة قبل أن أراك .

قبلت الطفلة وجنتيه و هي تهتف في سعادة :  
- هل رأيت ماما ؟ .. ستأخذني إلى الملاهي  
و تلعب معي ؛ هل ستأتي أنت و جدتي معنا ؟

وضعت الجدة الأطباق التي تحملها على  
الطاولة و هي تهتف :  
- جدتك كبرت على الملاهي يا شيرين .. اذهبي  
مع ماما و بابا و غداً تحكين لي عن كل  
الألعاب التي أعجبتك .

وضع عزت طفله فوق المائدة بينما عادت  
أمه إلى المطبخ فالتفت إلى شيرين و أمسك  
كفيها و هو يهتف :

- طال صمتك يا حبيبتي .. ألا تريدان أن تقولي شيئاً ؟

لمعت الدموع في عيون شيرين و هزت رأسها نفيًا بقوة ؛ تخشى أن تتكلم فتصحو من هذا الحلم الرائع و يضيع منها ؛ كان عزت يدرك ما تشعر به لذا مال نحوها و كاد أن يقبلها لولا أن عادت أمه و هي تحمل أكواب الشاي و هتفت :

- الفطور جاهز .. كلا حتى لا تتأخرا على عملكما .

بعد الفطور ركب عزت في سيارتها التي انطلقت بها شيرين إلى حيث تركا سيارة عزت عند كورنيش النيل ثم ركب عزت سيارته و انطلق بها و هو يلوح لها مودعاً ..

انطلقت شيرين بسيارتها نحو النيابة ؛ كانت تريد الإنتهاء من هذا الموضوع السخيف بسرعة حتى تتفرغ لترتيب حياتها الجديدة و عندما دخلت إلى رئيس النيابة أعربت عن استغرابها من أن يتم استدعاءها مرة أخرى

فقد سبق لها و أن أدلت بكل ما تعرفه عن  
الموضوع فهتف رئيس النيابة في حزم :

- في الواقع يا دكتورة أنا لم أستدعيك لمناقشتك  
فيما سبق لك الإدلاء به .. د / حاتم أقر بعلاقة  
الزوجية التي بينه و بين المجني عليها  
و قدم نسخته من عقد الزواج العرفي كما أنه  
لم ينكر نسب الجنين الذي تم إجهاضه إليه .

هتفت شيرين في حيرة :

- ما دام حاتم قد أمن على أقوالي فما جدوى  
وجودي هنا الآن ؟ .. أنا ليس لدي أقوال  
جديدة لأضيفها إلى شهادتي .

صمت رئيس النيابة للحظة و هو يتفرس في  
ملامحها قبل أن يهتف :

- لست هنا للشهادة يا دكتورة للأسف ..  
د / حاتم وجه لك الإتهام بالشروع في قتل  
زوجته و إجهاضها و أنت هنا للتحقيق في  
الإتهام .

رفعت شيرين حاجبها و هتفت في استهجان :

- هذه مزحة ؛ أليس كذلك ؟ .. و مزحة سمجة  
جداً .

بدأ رئيس النيابة في إجراءات فتح المحضر ؛  
و هتف :

- للأسف يا دكتورة لا وقت لدينا هنا لإضاعته  
في المزاح و أنا مضطر لأخذ أقوالك بشأن  
الإتهام .. و الآن .. اسمك و سنك و مهنتك  
و عنوانك ؟ .

رغم شعورها بالاستنكار و السخط هتفت  
شيرين :

- شيرين سعد المنياوي .. ٣٠ سنة .. محامية ..  
و عنواني / قصر المنياوي – المريوطية .

هتف رئيس النيابة في هدوء :  
- ما قولك فيما هو منسوب إليك من أنك قد  
شرعت في قتل المجني عليها امثال بسيوني  
عباس و تسببت في إجهاض جنينها ؟

هتفت شيرين في حدة :  
- كذب .. تلفيق .. أنا لا دخل لي في هذا  
الحادث .

تهتف رئيس النيابة في حزم :

- ليس حادثاً يا دكتورة بل جريمة متعمدة .. الضحية تعرضت لضربٍ مبرح أدى إلى وجود كدمات في أماكن متفرقة من جسدها كما أنه تم دفعها من فوق الدرج في شقتها بشارع السودان مما تسبب في نزيف حاد نتج عنه الإجهاض .

هتفت شيرين في توتر :

- جريمة لا شأن لي بها و لا أرغب في معرفة تفاصيلها .. أساساً من السخف مناقشة هذا الإتهام الأحمق فأنا ليس لديّ دافعٌ لإرتكاب جريمة كهذه .

استرخى رئيس النيابة في مقعده و هو يهتف :

- الدافع متوفر يا دكتورة .. الغيرة .. الضحية ضرتك و كانت حبلى من زوجك و هذا دافع قوي لإرتكاب الجريمة .

أخرجت شيرين النظارة من حقيبتها و وضعتها على عينيها و هي تهتف في توتر :

- الغيرة ؟! .. هذا أسخف شيء سمعته في حياتي .. اسمع سيادتك .. علاقتي بطليقي معقدة و لست مستعدة لشرحها في محضر رسمي لكنني أؤكد لك على أنني لم أشعر بالغيرة و لا للحظة واحدة من هذه الفتاة بل على العكس .. أنا تعاطفت معها و مع ما حدث لها و قمت بالإبلاغ فوراً عن شكوكي في حاتم .. هو الوحيد الذي يتوفر لديه دافع لإرتكاب الجريمة أم أنك تتخيل أن فتاة مثلي من الممكن أن تتصرف بكل هذا العنف ؟ .

تأملها رئيس النيابة .. كانت كل ذرة في جسدها تنتفض من فرط التوتر و كان من الواضح أنها لن تتحمل المزيد من الضغط عليها و مع هذا هتف :

- على العكس .. د / حاتم خسر ابنه الوحيد و يوشك على فقد زوجته التي تتضاءل احتمالات نجاتها مع استمرار فترة غيوبتها .. و تكيف التهمة قد يتغير إلى القتل العمد في حالة وفاتها و أنت تعلمين أن هذا ليس بالإتهام الهين يا دكتورة .

هبت شيرين واقفة و هي تهتف :  
- إذا كان حاتم يتهمني بهذا فعلاً فعليّ مواجهته  
.. أريد مواجهته حالاً .

أشار لها رئيس النيابة بأن تعاود الجلوس  
و هو يهتف :  
- و هو موجود هنا الآن من أجل هذه المواجهة  
و سنسمح له بالدخول فوراً .

دخل حاتم إلى الغرفة .. جلس على المقعد  
المواجه لها و هو يتأملها في حزن فهتفت في  
ثورة :  
- لماذا تتهمني ؟ .. أنت تعرف أنه لا شأن لي  
بما حدث .

كانت حالتها تبدو مروعة بالفعل .. عيونها  
كانت محتقنة بدموع الغضب و جسدها  
ينتفض من فرط الانفعال حتى أن حاتم قد  
هتف في رقة :  
- اهدي يا شيرين .. لا داعي لكل هذا الانفعال  
.. تعلمين أن رئيس النيابة سيأخذ إفادتك ثم  
ستعودين معي إلى القصر .. امتثال لم تستعد  
وعيا بعد و هي الوحيدة التي تستطيع أن



تقرر من الذي عاملها بهذه الوحشية .. رئيس النيابة لم يأمر باحتجائي رغم إتهامك لي و أنا واثق من أنه لن يأمر باحتجائك أنت أيضاً .. اهدئي .

ثم التفت إلى رئيس النيابة و ناوله ورقة مطوية و هو يهتف :  
- هذه الوثيقة ستؤيد صحة أقوالي .

فتح رئيس النيابة الورقة و قرأها بتركيز قبل أن يأمر بضمها لملف التحقيق ثم سمح لـ شيرين بإلقاء نظرة عليها فقرأتها ثم هتفت :  
- وثيقة طلاقنا ؟! .. انفصلنا بالأمس فحسب فكيف حصلت عليها بهذه السرعة يا حاتم ؟ ..  
عموماً الوثيقة تؤيد موقعي .. انفصلت عنك و ليس هناك سبب يدعوني للغيرة من امتثال هذه أو أية امرأة تعاشرها .

هتف رئيس النيابة في حزم :  
- وجهي كلامك لي يا دكتورة .. ثم إن كون الفتاة سبباً في انفصالك عن زوجك دافع قوي أدعى لأن يزيد العداوة بينكما و يدفعك إلى إيذاءها .

هتفت شيرين في ثورة :

- لا تصمت يا حاتم .. أنت تعرف جيداً أنك لا شيء بالنسبة لي .. أنا لا أحبك و لا أغار عليك و لم أشعر بأنك زوجي بحق و لا للحظة واحدة .. أنا لا أعبأ بك و لا بها و ليس لديّ سبب يجعلني أغار منها أو أحقد عليها أو .. أو أؤذيها على هذا النحو البشع .

ظهر الألم في عيون حاتم .. كل كلمة نطقت بها كانت تجرحه لكنه ظل صامتاً و لم يعقب ؛ كان يرى انفعالها و لم يرغب في أن يزيد الضغوط عليها .. بينما هتف رئيس النيابة في صرامة :

- أنا الذي أقوم باستجوابك يا دكتورة لا زوجك السابق و لو سمحت وجهي كلامك لي .

بدا و كأن شيرين لا تسمعه و هي تحقق في حاتم هاتفة :

- أنت لم تكن زوجي فعلاً لأغار عليك .. زواجك من امتثال أو ألف امرأة معها لم يكن ليهز شعرة واحدة من رأسي و أنت تعرف هذا .

هتف حاتم في مرارة :

- أنا لم أقل غير هذا .. زواجنا ظل حبراً على ورق لسبعة أعوام كاملة و أكثر يا شيرين و أظن أن رئيس النيابة يود أن يسألك عن السبب .

بهت وجه شيرين و همست :

- ما الذي تريده مني ؟ .. ما الذي تسعى إليه ؟

هتف حاتم في توتر :

- هل تسمح لنا سيادتك بالتدخين ؟ .. كما أن الدكتورة ستحتاج إلى كوب من عصير الليمون البارد لو سمحت قبل أن يستمر هذا الاستجواب .

هتقت شيرين و هي تنتفض :

- عزت لديه حق .. هو الذي يعرفك على حقيقتك لا أنا .. أنت شرير و تريد أن تؤذيني .. عزت .. أريد عزت معي الآن .. عزت سيحمني منك .

أمر رئيس النيابة لها بكوباً من عصير الليمون كما طلب حاتم و طلب له كوباً من القهوة ..

أخرجت شيرين سيجارة بيد ترتجف  
و أشعلتها و هي تحاول الاتصال على عزت  
لكن هاتفه كان مغلقاً .. تدفقت الدموع على  
وجهها و هي تشرب الليمون و تحقق في  
حاتم في خوف .

ظل رئيس النيابة يتأمل شيرين في استغراب ؛  
كان يعرفها منذ سنين بحكم عملها كمحامية  
و كانت الصورة التي تبدو عليها الآن تختلف  
تماماً عن المرأة القوية التي كانت تصول  
و تجول في ساحات المحاكم و تحقق نجاحات  
أبهرت الجميع ..

عندما أنهت شيرين كوب الليمون و أشعلت  
سيجارة ثانية هتف رئيس النيابة برفق :  
- هل أنت مستعدة لمواصلة التحقيق الآن ؟

أومأت برأسها إيجاباً فأردف :  
- وثيقة طلاقك تؤكد على أنك لا زلتِ بكرة بعد  
زواج استمر لهذه المدة الطويلة ؛ و لا بد من  
وجود سبب لهذا .. هل يمكنك شرحه  
يا دكتورة ؟

هتفت شيرين في تردد :

- لا .. سبب أحب الاحتفاظ به لنفسى و هذا حقى .. لا أريد أن أناقش حياتى الخاصة فى محضر رسمى .

هتف رئيس النيابة فى رفق :

- و لكنك مضطرة لهذا يا دكتورة للأسف .. طبيعة علاقتك بزواج المجنى عليها هى أساس الاتهام و يجب أن تكون واضحة و لا لبس بها .

نفثت شيرين دخان سيجارتها قبل أن تهتف :

- لأننى لا أحبه .. تزوجته تحت ضغط من والدى لكننى لم أستطع التظاهر بأننى زوجته بالفعل إلا أمام الناس فحسب .. أنا و هو كنا نعرف جيداً أننى أسيرة لديه حتى يستمتع بالسيطرة على ثروة الأسرة و ييسط نفوذه عليها .

هتف رئيس النيابة :

- أفهم من هذا أنكما قد توافقتما على هذا الأمر .. بمعنى .. هل اتفقتما على أن يظل الزواج سورياً ؟

كانت تنتفض و هي تستعيد الكثير من  
ذكرياتها البغيضة قبل أن تهمس :

- لا .. لم يكن اتفاقاً واضحاً و لكن .. سرت  
الأمر على هذا النحو .. ربما حاتم كان يأخذ  
زواجنا على محمل الجد و لكن .. أنا لا ..  
أراد .. أراد أن تكون بيننا علاقة .. طبيعية ..  
لكننا لم .. لم .. لم يستقم الأمر بيننا .

أشعل حاتم سيجارة أخرى قبل أن يهتف :  
- كلما حاولت الاقتراب منها كانت تنتابها  
نوبات فزع تليها إغماءة باتت تتكرر في كل  
مرة حاولت معاشرتها بها .. كانت تفقد الوعي  
لدقائق في البداية ثم أصبحت المدة تطول حتى  
أنها فقدت الوعي مرة لثلاثة أيام كاملة .. كان  
عمي موجوداً في القاهرة وقتها و قد عرضها  
على الأطباء الذين أكدوا على أن سبب  
إغماءتها نفسياً لا عضوياً و نصحوني  
بالانفصال .

هتفت شيرين في انفعال :  
- كذب .. كل هذا كذب .. هل تريد التلويح  
بأنني قد أكون مجنونة ؟ .. أنت تدعي يا حاتم

.. و لا أحد من الممكن أن يصدق هذا الإدعاء  
الأحمق أبداً .

كانت دموعها تتدفق على وجهها بينما ازداد  
جسدها انتفاضاً حتى أن السيجارة قد سقطت  
من يدها على ثوبها و لم تلتفت لها .. أسرع  
حاتم يلتقط السيجارة قبل أن تشتعل النار  
بثوبها و أطفأها بسرعة .. و هتف :

- آسف يا شيرين .. أنا لا أدعي و لكنك بالفعل  
مريضة نفسياً و شهادات الأطباء الذين تابعوا  
حالتك في ذلك الوقت ستؤكد كلامي .

ثم التفت إلى رئيس النيابة مردفاً :

- كما قلت لسيادتك من قبل .. تطورت حالتها  
و أصبحت تصيبها نوبات مشي أثناء النوم  
تتكرر تقريباً كل ليلة ؛ و كانت أحياناً تصبح  
عنيفة جداً أثناء هذه النوبات حتى أنها قد  
تسللت إلى غرفتي ذات ليلة و هي تحمل  
سكيناً و حاولت طعني به و عمي لن ينكر  
هذه الواقعة .. كما أنها حاولت الانتحار أكثر  
من مرة .. آه .. قادت مرة سيارتها أثناء  
النوبة و أوقفتها لجنة مرور لأنها كانت تسير  
بسرعة فائقة و تم تحرير محضر بهذا كما

اضطرت أنا و عمي إلى إدخالها إلى  
المصححة لستة أشهر كاملة .. و المحضر الذي  
يثبت الواقعة و ملف دخولها إلى المصححة  
سيؤكدان أقوالي .

وقفت شيرين و هي تهتف في انهيار :  
- أنت .. كذاب .. لماذا تفعل .. هذا .. بي ؟ ..  
أنت .. أنت ....

بترت عبارتها عندما سقطت فجأة مغشياً  
عليها بين ذراعي حاتم الذي ضمها إلى  
صدره بقوة و الدموع تنهمر على أهدابه .



## الفصل السادس عشر

صافح عزت مدير مستشفى الأمراض العقلية قبل أن يدعوه الرجل للجلوس أمام مكتبه .. جلس عزت و هو يهتف في لهفة :

- جئت أكثر من مرة لمقابلة شيرين يا دكتور لكنك لم تسمح لي و أتمنى أن أتمكن من مقابلتها هذه المرة لو سمحت .. لديّ إذن نيابة كما أن ...

قاطعته الرجل هاتفاً في هدوء :  
- أعرف أنك محاميها يا أستاذ عزت كما اطلعت على إذن النيابة و ليس هناك سبب قانوني يمنعك من مقابلة شيرين .. في الحقيقة حالتها الصحية هي السبب الأساسي في إصراري على منع الزيارة عنها .

شحب وجه عزت و هتف في توتر :  
- و هل لا زالت حالتها سيئة لهذا الحد ؟ .. أعني .. ألا يمكنني رؤيتها و لو لخمس دقائق فحسب ؟

هتف الطبيب في اهتمام :

- حالتها الآن أفضل كثيراً مما كانت عليه ..  
عندما تم تحويلها لنا من النيابة العامة كانت  
فاقة الوعي و استمرت إغماءتها ليوم  
و نصف تقريباً و منذ استعادت وعيها  
وضعناها تحت الملاحظة .. مجمل القول أن  
شيرين تعاني من عوارض نوبة اكتئاب  
مصحوبة بهياج عصبي .. أعطيناها المهدئات  
اللازمة لكن حالتها الذهنية و النفسية غير  
مستقرة .. لذا سأسمح لك بأن تراها لخمس  
دقائق فحسب على ألا ترهقها بالأسئلة ..  
شيرين ليست في حالة تسمح لها بأن تتحمل  
أي ضغط كما أنها عرضة للانهايار بسهولة .

هتف عزت في جزع :

- إلى هذا الحد ؟ .. لما ؟ .. ما حالتها بالضبط ؟

نهض الطبيب و هتف في هدوء :

- لا يمكن الجزم بهذا بهذه السرعة .. اعذرنى  
.. لديّ مرور بالمستشفى و سآمر بإحضار  
شيرين هنا لتتحدث معها على انفراد .

غادر الطبيب مكتبه بينما زفر عزت في  
حرارة و ظل ينتظر حضور شيرين و كل  
ذرة في جسده تشعر بالتوتر .. كلامه الآن مع  
مدير المستشفى و الصورة التي وصفها له  
رئيس النيابة عما حدث مع شيرين يعطيانه  
صورة قائمة و مخيفة عن حالتها لا يرغب  
في أن يتخيلها .

دخلت شيرين إلى الغرفة و هي منكسة الرأس  
؛ تمسك إحدى الممرضات بذراعها برفق  
و قد بدا الأمر و كأنها هي التي تحثها على  
السير أما شيرين فقد بدت ذاهلة و هي تنظر  
إلى الأرض في شرود قبل أن يقف عزت  
و يهمس باسمها .

رفعت شيرين رأسها و نظرت إليه .. وجهها  
شاحب و عيونها زائغة .. بدا لوهلة و كأنها لم  
تتعرف عليه أو أنها لا تصدق أنها تراه بالفعل  
قبل أن تدب الحياة في جسدها و تندفع نحوه  
و ترمي نفسها بين ذراعيه فضمها عزت في  
حنان و أمطر شعرها بالقبلات بينما انفجرت  
شيرين باكية في حرقه .

انسحبت الممرضة من الغرفة دون أن تنطق  
بحرفٍ واحد لكنها تركت الباب مفتوحاً  
و وقفت على بعد خطوة منه كما سبق و أن  
أمرها الطبيب .. بالكاد كانت تستطيع أن  
تسمع عزت الذي هتف :

- اهْدئي يا حبيبتي أرجوكِ .. كفى بكاءً  
يا شيرين .. محنة و ستزول بسرعة  
— إن شاء الله - .. أعدك بأن هذا الكابوس لن  
يستمر .

هتفت شيرين في لوعة :

- حاتم يدمرني .. يهدم سمعتي و كل ما بنيته  
في حياتي .. وضعني في مستشفى المجاذيب  
يا عزت .. كيف سأواجه الناس بعد هذا ؟ ..  
ماذا سيقول الموكلون عني ؟ .. مصداقيتي  
انهارت و لن يثق بي أحد بعد الآن .

هتف عزت في حنان و جزع :

- اهْدئي يا حبيبتي و انسي كل هذا الآن .. لا  
تحملي نفسك ما لا تطيقين يا شيرين أرجوكِ  
.. انسي الناس و القضايا و أصحابها  
و ركزي معي .. كل ما يهم الآن هو أن  
تخرجي من هذا المكان و من القضية ..

أخبرني رئيس النيابة أنه لا مانع لديك من أن  
أكون محاميك لكن إذا أردت الاستعانة  
بمحامي أكثر خبرة مني فلا بأس .. نستطيع  
أن ...

قاطعته شيرين هاتفه في لوعة :  
- بل أنت .. أنت يا عزت .. أنت ستدافع عني  
و ستحميني من حاتم .. لا تتخل عني .. لا  
تتركه يعذبني أرجوك .. أنت يا عزت ..  
أنت ....

كانت تبدو بالفعل منهرة حتى أن عزت قد  
ضمها إلى صدره بقوة و هتف :  
- اطمئني يا شيرين .. اطمئني و اهدئي  
يا عمري .. نحن معاً في هذا و سنتجاوزه  
بسرعة صدقيني .. أنت حياتي يا شيرين  
فكيف أتخلّى عن حياتي ؟ .. تعالي ..  
اجلسي .

دفعها برفق للجلوس فوق الأريكة و جلس  
بجوارها و هو يحيطها بذراعه فهمست :  
- أنت تعرف أنه لا شأن لي بها .. أنا لم  
أؤذيها .

هتف عزت بسرعة :

- طبعاً يا شيرين .. ليست لديّ ذرة شك واحدة في براءتك يا عمري .. لكننا يجب أن نركز على تفاصيل القضية حتى يمكننا إثبات هذه البراءة .. أنا قرأت ملف التحقيقات و اطلعت على أقوال حاتم .. هو لم يوجه إتهاماً صريحاً لك و لكن أقواله عن تاريخك المرضي أوحى بصورة زائفة عن أنك من الممكن أن تكوني قد اقترفت الجريمة في حالة إنعدام للوعي كنبات السير أثناء النوم التي تحدث عنها .. و في رأيي هذه أكبر نقطة ضعف يجب أن نركز عليها في خطة دفاعنا و ....

مسحت شيرين دموعها و هي تهتف في ثقة :

- حاتم يكذب .. كل ما قاله عن الإغماءات و السير أثناء النوم كلام فارغ و لن يمكنه إثباته .

شحب وجه عزت بشدة .. كانت تتكلم في ثقة و قناعة تامة جعلته يصمت للحظات قبل أن يهمس :

- لكنه تمكن من إثباته يا شيرين .. ثلاثة من أكبر الأطباء النفسانيين أمنوا على كلامه

و شهدوا بأن والدك قد لجأ إليهم لعلاجك ..  
و محضر الشرطة الذي تحدث عنه موجود  
و تم ضمه لملف القضية مع نسخة من تقارير  
علاجك بالمصحة .

هبت شيرين واقفة و هي تهتف في انفعال :  
- كذب .. كلهم كذابون .. أنا لا أتذكر شيئاً من  
هذا .. أنا .. أنا ..

بترت قولها فجأة و بدا و كأن انفعالها كله قد  
تلاشى قبل أن تهمس في تردد :  
- أصاب بالصداع أحياناً .. لكن هذا لا يجعلني  
مجنونة .. أنا .. أعمل كثيراً و يصيبني الأرق  
.. أتعرض للإجهاد لأنني .. لأنني ....

صمتت مرة أخرى و زاغت عيونها قبل أن  
تركع أمام عزت و تمسك كفه و هي تهمس :  
- أفكر بك .. في كل الليالي الطويلة الباردة لم  
أكن أفكر إلا بك .

انهمرت الدموع على وجهها مرة أخرى  
فأحاط عزت وجهها بكفيه و هتف في لوعة :  
- لا تبكي أرجوك .. أرجوك يا شيرين .

وضعت أناملها على كفيه و أغمضت عيونها  
و هي تهمس :

- كيف تركنتي أتعذب وحدي كل هذا الوقت ؟  
.. كيف صدقت أنني أستطيع أن أعيش  
بدونك ؟ .. لماذا تخليت عني ؟

فتحت عيونها و سحبت أناملها بعيداً عن كفيه  
و هي تهمس في لوعة :

- كنتَ هناك .. في حضن رجاء .. تنساني  
و تنسى كل ما كان بيننا معها .. في كل ليلة  
.. بين جدران غرفتي الباردة .. كنت أرقد في  
فراشي و أنا أبكي .. لم أكن أنام لأنني كنت  
أظل أبكي .. أعرف أنك على بعد آلاف  
الأميال في حضن امرأةٍ غيري و لن تعود إليَّ  
أبداً .. لكنني أظل أبكي .. يتكلمون عن الغيرة  
.. ماذا يعلمون هم عن الغيرة ؟ .. الغيرة  
كانت تنهشني في كل لحظة و أنا أعرف أنني  
قد منحتك بيدي لامرأةٍ غيري .. امرأة  
تشاركك حياتك و تحمل اسمك و تنجب  
أولادك .. بيدي .. أنا دفعتك إلى حضنها بيدي  
.. و كنت أبتهل لتعيش سعيداً معها و أنا  
أحترق بشوقي لك و حرمانني منك .. أنا لم  
أؤذيها .. كيف يدعون أنني يمكن أن أؤذيها ؟



.. أنا لا أكرهها حتى أؤذيها .. رجاء داوت  
جراحك فكيف أؤذيها ؟

شوق عزت في لوعة و أجهش بالبكاء فتوقفت  
شيرين عن الحديث و ظلت تنتظر إليه للحظة  
قبل أن تندس في صدره و تحيط خصره  
بذراعيها و هي تهمس :

- لا تتركني .. خذني من هنا .. لا أريد البقاء  
هنا .. أنا خائفة .

ضمها عزت إلى صدره بقوة و هو يهتف في  
حرقة :

- سامحيني يا حبيبتي .. سامحيني .. مع أنني لا  
أعرف كيف سأسامح نفسي على أنني عذبتك  
لهذا الحد .. لكنني لن أتركك يا شيرين .. لن  
أتخلّ عنك أبداً يا حبيبتي .. سأفعل المستحيل  
لتخرجي من هنا و من القضية .. لن أتركك  
تتعذبين بأكثر مما تعذبتِ يا عمري .. يكفي  
كل ما حدث لكِ بسببي .

دخل مدير المستشفى إلى الغرفة و معه  
المرمضة و طلب من عزت المغادرة  
فصرخت شيرين في ذعر و تشبثت به ..

حاولت الممرضة إبعادها عن عزت لكنها  
ظلت متشبثة به و هي تصرخ مطالبةً  
بوجودها معه .. حاول عزت تهدئتها لكن  
انهيارها كان يزداد حتى حقنها الطبيب بمهدئ  
جعلها تسترخي بين ذراعي عزت الذي ظل  
يضمها إلى صدره و هي تهمس :  
- حرام عليكم .. اتركوني معه .. عزت ..  
عزت ..

ظلت تردد اسمه حتى غابت عن الوعي  
و ذهبت في سباتٍ عميق فمسح عزت دموعها  
قبل أن يسمح للممرضات بحملها إلى  
فراشها ..

جلس عزت أمام مكتب المدير و هو يخفي  
وجهه بين كفيه و جسده يرتجف ؛ قدم له  
الطبيب كوباً من العصير البارد و هو  
يهتف :  
- اهدأ يا أستاذ عزت .. من الواضح أنك لست  
محميها فحسب و لو صارحتني بهذه الحقيقة  
من البداية لما سمحت لك برؤيتها .. كانت في  
غنى عن هذا الانهيار كما أنك لم تكن  
ستتعرض لهذا الموقف الصعب .

رفع عزت رأسه و هو يهتف في استنكار :

- كيف أصبحت بهذه الحالة ؟ .. شيرين  
شخصيتها قوية يا دكتور .. أنا أعرفها منذ  
سنين و قد كانت فتاة مرحة .. قوية العزيمة  
.. شديدة الرصانة .. كلها حيوية و انطلاق  
و حتى إلى الآن .. رأيتها منذ أسبوع واحد  
و هي تترفع في المحكمة .. كانت تقف أمام  
القضاة و هي شامخة .. أفكارها مرتبة ..  
ذهنها صافٍ .. و حجتها قوية .. كيف تنهار  
على هذا النحو لمجرد إتهام أقل تحقيق به  
سيطلق سراحها من النيابة بدون ضمان خلال  
ساعتين على الأكثر و هي تعرف هذا ..  
كيف ؟

جلس الطبيب خلف مكتبه و هتف في هدوء :

- اشرب العصير .. يجب أن تدرك يا أ / عزت  
أن كثير من المرضى النفسيين يمارسون  
حياتهم بشكل طبيعي و قد يحققون نجاحات  
مذهلة في مجال عملهم و لكن مجرد تعرضهم  
لأقل ضغط أو صدمة سيجعل مشاكلهم النفسية  
تطفو إلى السطح بسرعة و تطغى عليهم  
و بذلك يفقدون السيطرة على تصرفاتهم و لا

يعود بإمكانهم التظاهر بالقوة أو التماسك  
و هذا ما حدث مع شيرين .

زفر عزت في حرارة و هتف :

- شيرين تنكر بشدة أنها قد خضعت لعلاج  
نفسي من قبل لكن ثلاثة من أمهر الأطباء  
شهدوا بأنها كانت تعاني من الاكتئاب و كان  
ينتابها صدام و أرق و نوبات إغماء حتى أنها  
قد عانت من نوبات سير أثناء النوم و حاولت  
الانتحار أكثر من مرة .. و أنا لا أظن أنهم  
يخترقون هذا أو يدعونه .. ليس بعد ما رأيت  
حالتها اليوم .

هتف الطبيب في تفهم :

- هي لا تنكر و لا تكذب يا أ / عزت بل هي  
بالفعل لا تتذكر هذا .. تجربتها كانت مريرة  
و موجعة لدرجة لم يستطع عقلها استيعابها  
و عجز عن مواجهتها أو احتمالها فتخلص  
منها بالنسيان .

هتف عزت في لوعة :

- هل يعني هذا أنك ترى أنها لا زالت مريضة  
نفسياً و تحتاج إلى علاج ؟

طبيب شفّته و هتف في لامبالاة :  
- كلنا لدينا مشاكلنا النفسية يا أ / عزت بدرجات  
متفاوتة و شيرين ليست هنا لنحكم بما إذا  
كانت مريضة نفسياً أم لا بل لنقيم حقيقة  
مرضها و هل هي مسئولة عن تصرفاتها  
قانوناً أم لا .. و لا زال الوقت مبكراً لإصدار  
حكم بهذا الصدد .

## الفصل السابع عشر

تنهدت الأم في أسى و هي تتأمل عزت الذي جلس على الأريكة و هو يشرب سيجارة تلو أخرى منذ عدة ساعات ؛ كانت قد أنهت صلاة الفجر لتوها ثم اقتربت منه لكنه كان شاردًا في أفكاره و لم ينتبه لها .. جلست على المقعد المجاور للأريكة و هتفت :

- إلى متى ستظل على هذا الحال ؟ .. قم إلى فراشك و نم قليلاً فليدك محكمة في الصباح .

هتف عزت في مرارة :

- أنا السبب يا أمي .. أنا السبب .. لا يمكنك أن تتخيلي الحالة التي أصبحت عليها .. لو رأيته لظننت أنها فتاة أخرى غير التي أنت معي هنا منذ أيام و هي مفعمة بالحياة .. شيرين تعذبت و لا زالت تتعذب لأجلي .. والدها - سامحه الله - ضغط عليها و حملها فوق طاقتها .. لو أنها استطاعت أن تتنكر لحبي و تنساه لعاشت حياة طبيعية و سوية و لما تعذبت على هذا النحو .

هتفت الأم في حدة :

- ها أنت قد قلتها .. أبوها هو السبب .. هو الذي جنى عليها و عليك .. أنت كدت أن تفقد حياتك بسببه في المعتقل و هي كادت أن تفقد عقلها .. و من يدري ؟ .. ربما تكون قد فقدته فعلاً .. حكما محكوماً عليه بالفشل من البداية و لا مستقبل له فلا داعي للمكابرة .

هتف عزت في استنكار :

- ماذا تعنين ؟ .. أتريدين مني أن أتخل عنها ؟

هتفت الأم في حزم :

- أريدك أن تلتفت إلى حياتك و تهتم بمستقبلك و لا تضيع وقتك في قضية خاسرة .. شيرين نزيلة في مصحة عقلية قد لا تفارقها أبداً و ليس من المنطق أن تظل مرهوناً بها حتى تشفى .. الجنون لا يبرأ بسهولة و قد لا يبرأ أبداً .

هتف عزت في مرارة :

- شيرين ليست مجنونة يا أمي .. شيرين مجروحة .. تعذبت بفقدني .. تعذبت بزواجي .. تعذبت بوحدتها .. تحملت كل هذا العذاب

لسنوات طويلة و أنا لم أكن موجوداً لأخفف  
عنها .. و حتى بعد أن علمت بما فعلته لأجلي  
ظلت أقسو عليها .. ثلاث سنوات كاملة  
و أنا أراها و لا أحاول أن أتكلم معها لمجرد  
أن زواجها من حاتم قد جرح كرامتي و أذلني  
.. و هي ؟! .. لماذا لم أفكر فيها ؟ .. لماذا لم  
أشفق على جرحها و أترفق بوجيعتها ؟ ..  
كيف تكون حبيبة عمري و أنا أعاملها بكل  
تلك القسوة ؟ .. كيف ؟! .. أنا لا أستطيع أن  
أسامح نفسي .

طرقات خفيفة على باب الشقة جعلت الأم  
تنهض لتفتح باب الشقة بينما مسح عزت  
دموعه .. ثم هب واقفاً عندما هتفت أمه في  
جزع :

- شيرين .. كيف خرجت من المستشفى ؟

التفت عزت إلى باب الشقة حيث وقفت  
شيرين .. تحت الأم جانباً فسارت شيرين  
نحوه بخطا مترنحة ثم ارتمت بين ذراعيه ..  
ضمها عزت و هو يشعر بالتوتر بينما هتفت  
الأم في استنكار :



- كيف تركتِ المستشفى ؟ .. ثم .. كيف سرتِ  
في الشارع في هذه الساعة ؟ ..

أشار لها عزت بأن تصمت ؛ فتأملت أمه  
وجهه الممتنع بشدة قبل أن تقترب منه  
هامسة :

- ماذا يحدث ؟

حمل عزت شيرين بين ذراعيه برفق و دخل  
إلى غرفته و وضعها في فراشه .. ظلت  
شيرين متشبثة به فاسترخى بجوارها بينما  
دخلت أمه إلى الغرفة خلفه و هتفت في  
استنكار :

- ما الذي يحدث يا عزت بالضبط ؟

همس عزت في توتر :

- اهدئي يا أمي أرجوك و اخفضي صوتك ..  
شيرين ليست في وعيها .. شيرين نائمة  
و أخشى أن توقظيها مفزوعة .. و أنا لا  
أدري ماذا يمكن أن يحدث لها إذا صدمتها  
على هذا النحو ؟

امتنع وجه الأم بشدة و همست :  
- نائمة ؟! .. أتعني أنها قد تركت المستشفى  
و أنت من العباسية إلى دار السلام في ساعة  
كهذه و هي نائمة ؟! ..

قبل عزت جبين شيرين التي أغضت عيونها  
و استرخت بين ذراعيه قبل أن يهمس :  
- انظري إليها بنفسك .. و أظن أنها قد قطعت  
كل هذه المسافة مشياً على قدميها و هذا  
سيجعلها تسترسل في النوم لبعض الوقت ..  
المسافة طويلة و لا بد من أنها منهكة .

هتفت الأم في توتر :  
- من تسير مسافة كهذه و هي نائمة يا عزت  
يمكن أن ترتكب أفعالاً جنونية فعلاً .. أنا لا  
أستبعد الآن أن تكون هي التي أدت تلك الفتاة  
و هي ليست في وعيها .. و من يدرينا أنها لن  
تنهض الآن و تحاول قتلنا جميعاً ؟ .. شيرين  
خطر يا عزت و يجب أن تضع حداً  
لخطرها .

تنهد عزت و همس و هو يتأمل وجه شيرين  
الملائكي و وداعتها بين ذراعيه :

- شيرين كائن حساس و رقيق يا أمي .. رقتها  
و حساسيتها هي التي جعلتها تتعذب و تنهار  
على هذا النحو .. اطمئني .. شيرين لم تؤذي  
امثال و لا يمكن أن تؤذي أي شخص خاصة  
أنا .. هي هنا لأنها تريد أن نكون معاً فحسب  
و سنكون معاً و لن أسمح لأية قوة بأن تفرقنا  
بعد الآن .

هتفت الأم في عصبية :

- ما معنى هذا ؟ .. شيرين موجودة في  
المستشفى بأمر النيابة و سيبلغون عن  
اختفاءها حتماً .. أنت الآن لا تأوي مجنونة  
فحسب لكنك تأوي هاربة من العدالة و هذه  
مصيبة .. لا تنسَ أنك محامي و لا يمكن أن  
تخاطر بسمعتك أو مستقبلك لأجلها .

همس عزت في ثقة :

- اطمئني يا أمي .. سأعالج الأمور بحكمة ..  
أنا سأعيد شيرين إلى المصحة بنفسى ؛ عندي  
ثقة تامة في براءتها و أعلم أن هذا الكابوس  
سينتهي بمجرد أن تستعيد امثال و عيها  
و تشرح حقيقة ما تعرضت له .. شيرين  
تحتاج إلى العلاج بالفعل لكن زواجنا هو أول

و أهم خطوة نحو شفاؤها .. أرجوك يا أمي  
حاولي أن تفهميني .. شيرين ضحت بكل  
شيء لأجلي و لا أستطيع أن أتركها تتعذب  
أكثر من هذا .. حبها لي هو الذي أمرضها  
و حبي لها هو الذي يستطيع أن يشفيها .

غادرت أمه الغرفة و هي ساخطة لكنها لم  
تنس أن تترك بابها مفتوحاً .. التفت عزت إلى  
شيرين و مسح بيده على شعرها في حنان  
و هو يهمس باسمها .. أحاطت شيرين كفه  
بأصابعها و قبلتها قبل أن تسند رأسها إليها  
و هي تهمس باسمه لكنها لم تستيقظ ؛ بل  
دفنت وجهها في صدره و استرسلت في  
نومها .

ظل عزت يتأملها في شوق و حنين حتى غفا  
و هو لا يزال يضمها بين ذراعيه ؛ لكنه أفاق  
من غفوته بسرعة عندما هبت شيرين مغادرةً  
الفراش و هي تنتظر حولها في دعر .. اعتدل  
عزت جالساً و هتف :  
- اهْدئي يا شيرين .. أنتِ بخير يا حبيبتي فلا  
داعي للذعر .

تلفتت حولها و هي تهتف في فزع :  
- نحن لم نكن هنا .. كنا في المستشفى يا عزت  
فكيف جننا إلى هنا ؟ .. أنا لا أتذكر شيئاً ..  
ماذا حدث ؟

غادر عزت الفراش و اقترب منها و هو  
يهتف ببطء :  
- أنا غادرت المستشفى قرب المغرب و كنت  
نائمة بمفعول مهدي يا شيرين ثم فوجئت بك  
تطرقين بابي في الخامسة صباحاً .. و كنت لا  
تزالين نائمة .

احتقنت الدموع في عيونها و تمتمت :  
- نائمة ؟! .. أنا سرت إلى شقتك و أنا نائمة ؟!  
.. أتعني أن حاتم .. لم يكن يكذب ؟ .. أتعني  
.. أنني .. مجنونة .. كما يقول ؟

جذبها عزت إلى صدره و ضمها بقوة و هو  
يهتف :  
- لا يا حبيبتي .. لا تقولي هذا .. السير أثناء  
النوم حالة عارضة يمكن أن يتعرض لها أي  
شخص يمر بضغوط أو توتر .. و أنتِ

مررت بالكثير .. لكننا الآن معاً يا شيرين  
و سنواجه هذا معاً و سنجتازه و نتغلب عليه .

أجهشت شيرين بالبكاء و هي تهتف في  
لوعة :

- أنا مجنونة يا عزت .. مجنونة .. حاتم محق  
.. ربما أنا آذيت امثال المسكينة .. ربما أنا  
قتلت ابنها و حرمتها منه .. أنا مجرمة  
يا عزت .. مجرمة .. أنا مجرمة .

كان جسدها ينتفض بين ذراعيه ؛ لكن عزت  
ظل يحدثها عن حبهما الكبير و زواجهما الذي  
يجب أن يتم بسرعة ؛ و البيت الذي  
سيجمعهما معاً ؛ و السعادة التي تنتظرهما ؛  
جعل عقلها الذي يمزقه الألم يغرق في حلم  
جميل كما أنه كان حلماً تتوق لتحقيقه .

هدأت شيرين قليلاً و خفت انتفاضتها و هي  
تهمس :

- و سيكون لنا أولاد يا عزت .. الكثير من  
الأولاد .

دخلت الأم إلى الغرفة و هتفت في سخط :  
- و أين ستحققان هذا الحلم ؟ .. في السجن أم  
في مستشفى المجاذيب ؟

التقت كلاهما نحو أم عزت .. كانت شیرين قد  
شعرت بالعدائية التي في صوت الأم تخيفها  
حتى أنها تشبثت أكثر بجسد عزت و هي  
تنتفض بينما هتف عزت :  
- كفى يا أمي أرجوك .. لا داعي لهذا الكلام .

هتفت الأم في ثورة :  
- بل له ألف داعٍ يا عزت و أنت تعرف هذا ..  
أنا لن أسمح بوجود شیرين في حياتك لأنه  
سيدمرها .. ألا يكفي ما معه بك أبوها من  
قبل ؟ .. شیرين هي السبب في كل الأذى  
الذي تحملته .. هي فالك الشؤم الذي أضاع  
منك التعيين في الكلية و العمل في النيابة  
و كدت أن تموت بسببها في المعتقل و عشت  
منفيًا في بلاد الغربة بعيداً عن حضني  
لسنواتٍ طويلة .. من السبب في هذا كله ؛  
أليست هي شیرين نفسها التي تؤويها في بيتك  
الآن و أنت تعرف أنها هاربة من العدالة ؟

هتف عزت في حدة :  
- قلت كفى يا أمي .. كفى .

بينما همست شيرين :  
- أنا أحب عزت .. لا أريد أن أؤذيه .

مدت الأم يدها و جذبت شيرين من حضن  
عزت و هي تهتف في قسوة :  
- لكنكِ لا تفعلين شيئاً سوى إيذاءه ؟ .. قللي لي  
لماذا تختبئين هنا ؟ .. ألا تعرفين أن القبض  
عليكِ هنا سيدمر سمعته و مستقبله ؟ .. ماذا  
تفعلين في حياته من الأساس ؟ .. أبوكِ تعالى  
علينا بماله و نكل بابني ليبعده عن طريقك  
و الآن أنتِ التي لا تليق به يا دكتورة فأنا لن  
أقبل أبداً بأن يتزوج ابني من مجنونة .

بكت شيرين في انهيار و ارتفع صوت نحيبها  
يمزق قلب عزت الذي هتف :  
- قلت كفى يا أمي .. حرام عليكِ .. ألا ترين  
حالتها بنفسك ؟ .. ارحمها .



هتفت الأم في حدة :

- ألا ترى حالتها أنت ؟ .. كيف ستتزوجها  
و تأمن أن تنام بجوارها ؟ .. هي حاولت أن  
تقتل تلك الفتاة المسكينة و لا شيء سيمنعها  
من أن تقتلك أو تقتلني أو تقتل ابنتك الوحيدة  
.. هذه ليست شيرين التي أحببتها يا عزت ..  
هذه البنت خطر .. خطر كبير عليك و علينا  
و حتى على نفسها .

صرخت شيرين في انهيار .. ظلت تصرخ  
و تصرخ و تصرخ لكن صوت صراخها لم  
يكن يستطيع أن يكتم الصوت الذي ظل يتردد  
في أذنها :

- هي حاولت أن تقتل تلك الفتاة المسكينة و لا  
شيء سيمنعها من أن تقتلك أو تقتلني أو تقتل  
ابنتك الوحيدة .. هذه ليست شيرين التي  
أحببتها يا عزت .. هذه البنت خطر .. خطر  
كبير عليك و علينا و حتى على نفسها .

حاول عزت أن يسيطر على انفعال شيرين  
و يجعلها تهدأ لكن هذا لم يكن ممكناً ؛ و حتى  
عندما أعادها إلى المستشفى و حقنها الطبيب  
بالكثير من المهدئات لم يستطع أن ينتزع من

رأسها فكرة أنها قد قتلت الجنين المسكين  
و أمه التي أوشكت على أن تلحق به و قد  
تؤدي عزت أو أحب الناس إليه .. و كانت  
الفكرة تدمر آخر ذرة في عقلها قابلة  
للتماسك .

## الفصل الثامن عشر

جلس عزت في فراشه و هو يدخن سيجاراً تلو الأخرى كما هي عادته هذه الأيام ؛ دخلت إليه شيرين الصغيرة فأطفأ السيجارة بسرعة و أسرع يضمها إلى صدره .. لمست الطفلة الشعيرات النامية في ذقنه و همست :

- ذقنك وخزنتي .. لما لا تحلقها ؟ .. أريد أن أقبلك و لا أحبها .

مسح عزت بيده على شعر ابنته و لم يقل شيئاً ؛ في عيونه نظرة حزن عميقة و في قلبه جرح أكثر عمقاً .. لا يصدق أنه سمح بأن تتعرض شيرين للتجريح و الإهانة و أن تتحمل كل هذا الألم و هي في بيته و بين ذراعيه و من أقرب الناس إليه و وقف عاجزاً دون أن يحميها .

همست شيرين :

- أين أمي الجديدة ؟ .. لماذا ذهبت بهذه السرعة و لم تلعب معي كما وعدتني ؟

لمعت الدموع في عيون عزت و همس :

- ستعود .. قريباً ستعود .

همست شيرين :

- هي مجنونة و جدتي لن تدخلها البيت هنا مرة

أخرى .

هب عزت مغادراً الفراش و هو يشتاظ غضباً

؛ وضع ابنته في الفراش و أمرها بألا تتحرك

ثم ذهب إلى أمه في المطبخ و هتف في حدة :

- كيف تحرضين ابنتي على شيرين ؟ .. شيرين

ليست مجنونة و لا تتحدثي هكذا عنها مرة

أخرى .. ابنتي ستعيش في حضنها و ستنتربى

معها و لن يحدث هذا لو أدخلت في روعها أن

أمها الجديدة لا عقل لها و من الممكن أن

تؤذيها .

التفتت إليه الأم و هتفت في سخط :

- أنا لا أدعي .. شيرين مجنونة فعلاً .. أنت

أعدتها بيدك إلى مستشفى المجانين فلا تتخيل

أنني سأسمح لك بأن تدخلها إلى هذا البيت

مرة أخرى .. حفيدتي لن تنتربى في حضن

امرأة لا عقل لها و من الممكن أن تؤذيها ..  
هل تفهم ؟

هتف عزت في لوعة :

- حرام عليك يا أمي .. لماذا تكرهينها لهذا  
الحد ؟ .. ألا يكفي ما فعلته معها ؟ .. ماذا  
فعلت المسكينة لـ ....

قاطعته الأم هاتفة في ثورة :

- لم نَرَ من خلفها خيراً قط و القادم أسوأ مما  
مر بألف مرة .. هي تؤذيك أنت .. تحطمك  
و أنت حتى لا تستطيع أن ترَ هذا .. انظر إلى  
نفسك في المرأة يا عزت .. انظر إلى مكتبك  
الذي لم تفتحه منذ ثلاثة أيام كاملة .. انظر  
إلى ابنتك الوحيدة .. هل يمكن أن تأتمن عليها  
فتاة مثل شيرين ؟

غادر عزت البيت و هو حائق ؛ أمه لا تسمع  
سوى صوت مخاوفها من شيرين و هو لا  
يستطيع أن يصدق هذه المخاوف .. يجب أن  
يتزوج شيرين بسرعة و يضع الجميع أمام  
الأمر الواقع و أولهم شيرين نفسها لذا عليه أن  
يأخذ المأذون الآن إلى المستشفى و يعقد عليها

.. و ما كان يستطيع أن يفعل هذا و شيرين لم تحصل على وثيقة طلاقها بعد .

تردد عزت كثيراً قبل أن يذهب إلى مؤسسة المياوي الاستثمارية و يطلب مقابلة حاتم ؛ و قد فوجئ حاتم عندما دخلت السكرتيرة إلى مكتبه و هتفت :

- أ / عزت المحلاوي المحامي يطلب مقابلة سيادتك بإصرار يا باشمهندس على الرغم من أنه ليس لديه موعد مسبق و لا يريد تحديد سبب المقابلة .

عربد الغضب في عروق حاتم ؛ كان يرى أنه من الوقاحة أن يجرو عزت على طلب مقابلته و كاد أن يأمر السكرتيرة بطرده لكنه تراجع .. سنوات طويلة و هو يرغب في أن يعرف من هو الشاب الذي استطاع أن يتسلل إلى قلب شيرين و يمتلك كل عواطفها و ينتزعها منه و ها قد أتت الفرصة أخيراً و هو لا يستطيع أن يدير ظهره لها .

أمر حاتم السكرتيرة بأن تسمح له بالدخول كما طلب منها منع الاتصالات عنه حتى

تنتهي المقابلة لأنه لا يرغب في أي  
إزعاج ..

دخل عزت إلى المكتب الفخم و هو يتأمل ما  
حوله في ضيق ؛ كل مظاهر الثراء التي  
تحيط به الآن كانت هي الحاجز الذي وقف  
بينه و بين حب عمره و منعه من تحقيق  
أحلامه .. على الأقل حتى الآن لكن ليس  
للأبد .

تأمل حاتم عزت طويلاً قبل أن يشير له  
بالجلوس أمام مكتبه و هو يهتف في برود :  
- استغرب كثيراً وجودك في مكنتي يا أ / عزت  
.. و لا أفهم بأية صفة ترغب في مقابلتي ؟

جلس عزت أمام المكتب و هو يهتف :  
- بصفتي خطيب شيرين و محاميها .. شيرين  
بنت عمك و شريكك قبل أن تكون زوجتك  
السابقة يا باشمهندس أم أنني مخطئ ؟

أشعل حاتم سيجاراً فاخراً نفث دخانها ببطء  
و هو يتأمل عزت قبل أن يهتف :

- شيرين زوجتي السابقة التي فقدت عقلها بسببك .. لا أدري فعلاً لما أحببتك إلى حد الجنون ؟ .. لا أرى بك شيئاً مميزاً لهذا الحد .

هتف عزت في حدة :

- لم آتي إلى هنا لتقييمي كما أنك آخر شخص يحق له أن يحكم عليّ أو على شيرين .. ألا يكفي ما فعلته بها ؟

رفع حاتم حاجبه في ازدراء ثم هتف :

- أنا الذي فعلت !؟ .. و لديك الوقاحة الكافية لتأتِ حتى مكثبي و تتهمني !؟ .. شيرين هي التي فعلت .. هي التي أبلغت عني و أتهمتني و جعلتني في موضع الدفاع عن نفسي .. أنا صارحتها بأن امتثال زوجتي و جنينها ابني و كنت سأعلن هذا بنفسي و بالطريقة التي تناسبني لكنها اعتدت على الفتاة الوحيدة التي أحببتي و حرمتني من ابني .

هتف عزت في سخط :

- هل تصدق نفسك ؟ .. شيرين لا تفعل شيئاً كهذا أبداً .. شيرين لا يمكن أن تتصرف بكل



هذا العنف .. شيرين بريئة من دم ابنك  
و ذنب زوجتك فلا تحاول إلصاق جريمتك  
بها .

لوى حاتم شفتيه و هتف في ضيق :  
- يحق لك أن تدافع عنها بحرارة .. أنت لم  
تستيقظ يوماً من نومك و وجدتتها تشهر سكيناً  
في وجهك .. أنت لم تغرق في دمها و أنت  
تحملها إلى المستشفى في كل مرة حاولت فيها  
تمزيق شرايينها .. أنت لم ...

قاطعته عزت هاتفاً في حدة :  
- و لما ؟ .. لما تحاول قتلك أو قتل نفسها ؟ ..  
لما تحاول الاعتداء على زوجتك و قتل ابنك ؟  
.. لأنك حقير يا حاتم .. أكثر حقارة من أي  
مجرم عرفته في حياتي .. أنت عذبتها حتى  
فقدت عقلها و ...

هب حاتم واقفاً و هو يهتف في مرارة  
و حقد :  
- أنا أم أنت ؟ .. أنا تزوجتها يا عزت ..  
تزوجت فتاة من لحمي و دمي و حبها يجري  
في شراييني فإذا بها أسيرة في حب حيوان

نبذها و تزوج صديقتها الوحيدة و سافر معها .. أنا منحتها اسمي و حاولت إسعادها بكل طاقتي لكنها صدتني و أغلقت كل الأبواب في وجهي .. هي لم تمنحني أو تمنح نفسها فرصة لأن أمحوك من قلبها و نتشارك حياتنا معاً .. أنا حتى لم ألمها على أنها أخفت عني حقيقة عواطفها نحوك و ظلت صامتة حتى سبق السيف العزل و أصبحت زوجتي .. أشفقت على ضعفها أمام عمي الذي زوجها لي قهراً و لوى رقبتها بحبها لك .. لو أنها وثقت بي و صارحتني بضغوط عمي عليها لوقفت معها و معك ؛ لكنني لم أدرك ما حدث إلا بعد فوات الآوان و لم يكن بيدي ما أفعله لأصلح ما فسد بينكما .

أطفاً حاتم بقايا السجارة في عصبية بينما زفر عزت في حرارة و هتف :  
- ما كان عليك أن تترك حالتها تتدهور لهذا الحد .. لماذا لم تحاول علاجها ؟

جلس حاتم مرة أخرى و حاول السيطرة على أعصابه و هو يهتف :

- و من قال لك أنني لم أفعل ؟ .. أنت لا تستطيع أن تتخيل كيف كانت حالتها منذ أول ليلة لنا معاً أما أنا فلن أستطيع أن أنس كيف كانت تنظر لي بفرع .. صوت صراخها لا زال يصم آذاني و يوقظني أحياناً من عز نومي .. جزعي عليها في كل مرة كانت تفقد فيها وعيها كان يمزق قلبي .. لو عتي كلما نظرت إليها و وجدتها تتعذب بحسرتها عليك كادت أن تقتلني .. خوفي من أن تتجح في التخلص من حياتها بات كابوساً يكتم على أنفاسي ليل نهار .. أنا أخذتها لأمهر الأطباء .. عام كامل و أنا و عمي نحاول أن نجد طبيباً أو مصحة تحرز أي تقدم في علاجها دون جدوى .

هتف عزت في سخط :

- و لماذا لم تطلقها ؟ .. ربما لو منحناها حريتها لجعل هذا حالتها تتحسن .

هتف حاتم في ندم :

- لديك حق .. هذا ما كان عليّ أن أفعله و لكن الأمر لم يكن بالسهولة التي تتحدث بها .. عمي ظل يضغط عليّ .. هو لم يكن يسمح

لي بتطليقها كما أنني لم أكن أفكر في الطلاق .. رغم كل شيء تمنيت أن تتغير مع الوقت و تنسى عواطفها نحوك و تقبل بوجودي في حياتها لكن هذا لم يحدث قط للأسف .

هتف عزت في حيرة :

- لكنها اجتازت هذا مع الوقت .. شيرين أكملت دراستها العليا و حصلت على الدكتوراة و فتحت مكتبها و حققت به الكثير من النجاحات .. تركت خلفها الفتاة المحطمة التي تتحدث عنها و مضت قدماً في حياتها و قد تستطيع أن تفعل هذا من جديد .. كيف تجاوزت محنتها من قبل ؟ .. من الذي عالجها ؟

زم حاتم شفتيه في غضب ؛ كانت لهذا السؤال إجابة واحدة تجربه على الخوض في حديث لا يرغب الخوض فيه .. صمت للحظات قبل أن يهتف :

- في تلك الأيام الصعبة أنا أيضاً أصبحت أعصابي على وشك الانهيار .. لذا داومت على زيارة أحد الأطباء الذين حاولوا علاجها أكثر من مرة دون جدوى و تحدثت معه ..

كان يرى أن وجودي في حياة شيرين ركن أساسي في محنتها و أن حالتها قد تتحسن إذا اعتقدت أنني عاجز عن لمسها لأن هذا سيشعرها بالأمان .. كان اقتراحه مفيداً جداً فقد أتى بنتائج سحرية .. تجاوزت شيرين انهيارها و استأنفت حياتها و نست وجودي تماماً و لم يعد يزعجها .

أشعل عزت سيجارة بيد ترتجف .. كان يشعر بالألم الذي يكتمه حاتم في أعماقه و يتخيل كم تحمل من أجل شيرين حتى أنه هتف :  
- لا أصدق أن رجلاً يستطيع أن يقبل وضعاً كهذا على كرامته ؛ ألهذا الحد تحبها ؟

أشاح حاتم بعيونه عن عزت و هتف في مرارة :  
- و ما الفائدة ؟ .. في النهاية أنا بالفعل كنت عاجزاً عن إسعادها لأن الرجل الوحيد الذي تريده هو أنت .

## الفصل التاسع عشر

فجأة شعر عزت بالندم لمجيئه ؛ لم يكن يعرف ماذا عليه أن يقول لكنه بدأ يفهم أخيراً لما كانت شيرين باستمرار تدافع عن حاتم .. هي تربت معه و كانت تعرفه و تجيد الحكم عليه و هو ليس ذلك الطاغية الذي كان يتخيله بل على العكس .. الآن لم يعد عزت لديه ذرة شك واحدة في أن حاتم من الممكن أن يكون خلف ما تعرضت له امتثال .. رجل لديه كل هذه القدرة على التضحية و إنكار الذات لا يمكن أن يكون قاسي القلب لدرجة قتل زوجته و ابنه الوحيد .

نهض عزت و هتف في صدق :

- أنا آسف .. آسف على كل شيء .

نهض حاتم بدوره و هتف :

- لماذا لم تتزوجها حتى الآن ؟ .. شيرين أصيبت بالانهيار لأنها لم تكن تتحمل فقدك و لا أظن أن علاجها الآن قد يكون صعباً إذا ما عدت إليها و تم زواجكما .

أوما عزت برأسه إيجاباً و هتف :  
- لديك حق .. أنا أيضاً أعتقد أن زواجنا بسرعة  
أصبح ضرورة ملحة حتى أنني أنوي أن نعتد  
قراننا بمجرد أن تغادر المصحة و أحصل لها  
على قرار إفراج من النيابة و لو بكفالة و لن  
أنتظر انقضاء عدتها كما كانت شيرين ترغب  
قبل هذه الأزمة .

هتف حاتم في مرارة :  
- عدتها؟! .. أية عدة ؟ .. شيرين لا زالت بكرأ  
و لا عدة لها و هذا منصوص عليه في وثيقة  
طلاقها و يمكنكما الزواج اليوم قبل الغد ..  
و أظن أنه كلما كان هذا أسرع كان علاجها  
أيسر .. شيرين مريضة بك و أنت علاجها  
الوحيد .. و داوني بالتالي كانت هي الداء .

التقط حاتم ورقة صغيرة و خط عليها بضع  
كلمات و هو يهتف :  
- لا تذهب قبل أن تأخذ ما أظن أنه السبب  
الحقيقي خلف هذه الزيارة المفاجئة .. هذا  
عنوان مآذون العائلة و رقم هاتفه و ستجد  
لديه نسخة شيرين من وثيقة الطلاق و يستطيع  
أن يعقد لكما اليوم لو أردتما .

وضع عزت الورقة في جيب سترته .. تملل  
في وقوفه و كأنه يتردد في الانصراف قبل أن  
يحزم أمره و يهتف :  
- إذا .. إذا اتضح أن شيرين هي التي أجهضت  
امثال .. كيف سيكون موقفك حينئذ ؟

هتف حاتم في حسم :  
- شيرين بنت عمي و ستظل مسئولة مني ..  
على الأقل حتى يقرر عمي قطع رحلته  
الطويلة إلى أوروبا و يعود للاستقرار هنا  
و هذا قد يحدث قريباً لأنني اتصلت به  
و أبلغته بتطورات الموقف .. و أظن أنه لن  
يكون من الصعب عليك الحصول لها على  
حكم مخفف أو مع إيقاف التنفيذ نظراً إلى  
حالتها .. أنا عن نفسي أستطيع أن ألتمس لها  
العذر و أتقهم أنها ليست مسئولة عن  
تصرفاتها لكنني لا أعرف كيف سيكون  
موقف امثال منها لكنني أعدك بأنني سأحاول  
احتواء الموقف معها .

صمت لحظة قبل أن يردف :  
- لكن للأمانة هناك شيء أريده أن يكون  
واضحاً أمامك .. امثال أخبرتني بأنك



محاميها عندما عاتبتها على ذهابها إلى شيرين  
.. و إذا كانت شيرين قد أدت امتثال فعلاً  
فلا أظن أنها قد فعلت هذا بسببي و إنما بسببك  
أنت .

قطب عزت جبينه و هتف في حيرة :

- بسببي أنا؟! .. كيف ؟

هتف حاتم في مرارة :

- لو كان دافعها لما فعلت هو الغيرة كما  
يفترض رئيس النيابة فلا أظن أنها كانت تغار  
عليّ .. الشخص الوحيد الذي تحبه شيرين  
بجنون و يمكن أن تغار عليه لدرجة القتل هو  
أنت و لا أحد سواك .

بهت وجه عزت بشدة و همس :

- هل تعرف ما الذي يعنيه هذا ؟

جلس حاتم و هتف في حسم :

- للأسف .. شيرين قد تؤذي أي شخص تشعر  
بخطر منه عليك أو أنه قد يحرمها منك  
أو يشاركها فيك .

هوى عزت جالساً و هو يفكر في كلام أمه ..  
شيرين خطر و خطرها قد لا يطوله هو لكنه  
قد يحيط بأمه و ابنته بمنتهى السهولة خاصةً  
بعد موقف أمه من شيرين و الطريقة القاسية  
التي عاملتها بها ..

هب عزت واقفاً فجأة و اندفع يغادر مكتب  
حاتم و مقر المؤسسة .. ركب سيارته  
و انطلق بها بأقصى سرعة ممكنة و هو يبتهل  
في أن يصل إلى بيته قبل فوات الأوان .

عندما فتح عزت باب شقته بمفتاحه و دخل  
إلى الشقة التي كانت تغرق في الصمت سقط  
قلبه في قدميه فقد بدا له هذا السكون مثيراً  
للفرع قبل أن يقتحم غرفة أمه فيجدها تصلي  
بينما ابنته جالسة بجوارها و هي تلعب  
بعروستها ..

أسرع عزت يحمل ابنته و يضمها إلى صدره  
في لهفة و هو يمطرها بالقبلات بينما  
الصغيرة تضحك في سعادة و كأنه يدغدغها  
.

ختمت الأم صلاتها و طوت السجادة و هي  
تنهض هاتفة :

- الغداء جاهز .. خمس دقائق فحسب حتى ...

قاطعها عزت هاتفاً :

- لا وقت لدينا يا أمي .. احزمي ثيابك و ثياب  
شيرين بسرعة لأننا سنسافر .. سأخذكما  
لزيارة البلدة و قضاء بضعة أيام هناك .

أمطرته أمه بأسئلة كثيرة لم يكن يرغب في  
إجابتها ؛ لديه مخاوف لا يرغب في تصديقها  
لكنه لا يستطيع أن يتجاهل أن هناك احتمال  
و لو واحد في المليون بأن تكون هذه  
المخاوف حقيقية و هو لا يستطيع المجازفة  
بحياة أمه و ابنته الوحيدة .

وضع عزت حقيبة كبيرة على الفراش و أخذ  
يجمع بها ثياب ابنته و لعبها ؛ بينما أمه تهتف  
في سخط :

- اسمع يا عزت .. أنا لن أذهب إلى أي مكان  
قبل أن أفهم ما الذي يحدث بالضبط .. لماذا  
قررت هكذا فجأة سفرنا إلى شبين ؟ .. حتى

أنك لا تكتفي بنفسي وحدي و إنما تريد نفي  
ابنتك معي .

هتف عزت في توتر :

- أمي افهميني .. أنا لا أخلص منكما بل أحاول  
أن .. كل ما أريده يا أمي هو أن تكونا في  
أمان و هذا لن يحدث إلا إذا ابتعدتما بسرعة  
عن هنا .. لقد اتصلت على أختي هاتفياً و هي  
ستظل معك و ترعاك .

هتفت الأم في حدة :

- أحتك لديها بيتها و زوجها و أولادها و أنا لا  
أحتاج رعاية من أحد .. أنا هنا لأرعاك  
و أرى ابنتك لا لترعاني و إذا لم تكن في  
حاجة لي يمكنني الرحيل فوراً .

جمعت الأم ثيابها و هي غاضبة بينما عزت  
يراقبها و هو يدخل سيجاراً في عصبية ثم  
حمل ابنته و الحقيبة إلى سيارته حيث ركبت  
أمه بجواره و هي تزم شفتيها في استياء فزفر  
عزت في حرارة قبل أن يهتف :

- تكلمت اليوم مع حاتم .. زوج موكلتي المتهمه  
شيرين بالاعتداء عليها .. حاتم لديه خوف

من أن تكون شيرين قد اقترفت الجريمة أثناء  
نوبة السير أثناء النوم و يرى .. يرى أنها  
ربما فعلت هذا من باب الغيرة لأنني على  
علاقة مع امتثال .. علاقة مهنية بحتة و مع  
هذا ...

قاطعته الأم هاتفة في حزم :

- فهمت .. أنت تخشى أن تهاجمنا شيرين و هي  
نائمة .. أليس هذا بالضبط هو ما قلته لك  
لكنك لم تسمعني ؟

انطلق عزت بالسيارة و هو يهتف :

- و لا زلت مصراً على أن شيرين بريئة .. هي  
لم تؤذي امتثال و لا يمكن أن تؤذي أي  
شخص و لكن .. و لكن ليطمئن قلبي أريد  
إبعادكما عن هنا مؤقتاً حتى تتضح الأمور ..  
لا تنسي أن شيرين خرجت من المستشفى  
و أنت إلينا و لم يلاحظ أحد هذا حتى أعدتها  
إليها بنفسه .

هتفت الأم في قلق :

- و أنت ؟ .. ستظل معنا في شبين ؛ أليس  
كذلك ؟ .. ما يدرينا أنها لن تؤذيك .

هتف عزت في ثقة :  
- مستحيل يا أمي .. شيرين لا تؤذي أحداً سوى  
نفسها .. خاصةً أنا .

هتفت الأم في حدة :  
- لا تكن واثقاً لهذا الحد .. القطة عندما تشعر  
بالخطر تأكل أولادها لتحميمهم .. ما يدريك  
أنها لن تفعل شيئاً مهووساً لا تتوقعه ؟ .. هي  
ليست طبيعية .

هتف عزت في عصبية :  
- أمي .. كفى أرجوك .. أنا الذي كاد أن يفقد  
عقله بالفعل لأنني لم أعد أحتمل كل هذه  
الضغوط .. امكثي في البلدة مع أخواتي  
لبعض الوقت حتى أطمئن إلى أنكما في أمانٍ  
تام .. أما أنا فسأعود الليلة .. شيرين تحتاج  
إليّ و لا يمكن أن أتخلّ عنها .

عندما أوقف عزت سيارته أمام بيت أمه في  
شبين الكوم أصر على العودة بمجرد أن حمل  
الحقيبة و وضعها داخل الدار .. هتفت أمه في  
لوعة :

- لن أسمح لك بأن تعود إليها .. أنت يجب أن  
تبتعد عن هذه الفتاة حتى لو اقتضى الأمر أن  
تعود إلى الكويت مرة أخرى .

هتف عزت في فراغ صبر :

- افهميني يا أمي .. أرجوك .. شيرين ليست  
مريضة .. شيرين مقهورة و محرومة ؛ و إذا  
لم تجدني معها لأعوضها عن كل ما قاسته  
ستتحطم تماماً و هذا ما لن أسمح بحدوثه أبداً  
حتى لو ضحيت بحياتي نفسها .

شحب وجه الأم بشدة و همست :

- ما معنى هذا ؟ .. هل ستتزوجها ؟

هتف عزت في حسم :

- بالتأكيد يا أمي .. في أقرب فرصة فالوقت  
ليس في صالحنا .

## الفصل العشرون

ذهب عزت إلى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ؛ كان يتوق لرؤية شيرين و الاطمئنان عليها لكن مدير المستشفى أحبط آماله عندما هتف :

- آسف يا أ / عزت .. حتى لو كان معك إذن نيابة لن يمكنك مقابلة شيرين .. منذ أعدتها إلى المستشفى و حالتها تتردى للأسف .. هي ترفض الأكل و النوم و لا أظنها ستقبل مقابلتك حتى لو سمحت لك بها .

هتف عزت في وعة :

- لهذا الحد ؟! .. ظننت أنني فعلت الأفضل لها عندما أعدتها إلى المستشفى .

هتف مدير المستشفى في هدوء :

- و هذا صحيح .. شيرين هنا ستجد فرصة للعلاج كما أنها ليست مريضة عادية .. شيرين لديها قضية و رأينا المتخصص قد يعني الكثير بالنسبة إلى موقفها القانوني .



هتف عزت في لهفة :

- أفهم من هذا أنكم قد أنهيتم تقريركم عن حالتها .. شيرين فاقدة للأهلية و لا يمكن محاسبتها قانوناً عن أفعالها ؛ أليس كذلك ؟

هتف المدير في حسم :

- التقرير تم تسليمه للنيابة منذ قليل و بما أنك محاميها سيمكنك الإطلاع عليه في النيابة و أخذ نسخة منه بمعرفتهم ؛ أليس كذلك ؟ .. عموماً سلمنا التقرير لكننا لم نسلم المتهمة و أبقيناها هنا .. حالة شيرين لا تسمح بحبسها و يجب أن تظل تحت الملاحظة حتى تستقر حالتها .

غادر عزت المستشفى و توجه إلى النيابة ؛ كان ملهوفاً لمعرفة ما استقر عليه رأي الأطباء ربما لأن الأمل في ألا تكون شيرين مسئولة عن هذه الجريمة قد بدأ يتضاءل في قلبه ..

و عندما دخل إلى مكتب رئيس النيابة هتف الرجل :

- جئت في الوقت المناسب يا أ / عزت .. ورد لنا تقرير المستشفى و هو لصالح الدكتورة و يعفيها من المسؤولية .

شحب وجه عزت و هو يهتف :  
- أيعني هذا أنكم ستوجهون لها التهمة أم ماذا ؟

هتف رئيس النيابة في هدوء :  
- حتى هذه اللحظة لا دليل على مسؤولية الدكتورة عما تعرضت له المجني عليها .. و سيظل الوضع على ما هو عليه حتى تستعيد الضحية وعيها و تؤيد أقوالها الاتهام أو تنفيه .. لكن في حالة كانت الدكتورة هي مرتكبة الجريمة بالفعل فإن تقرير المستشفى سيعفيها من المسؤولية الجنائية ؛ فالتقرير يفيد بأنها مصابة باكتئاب حاد كما أنها تسير أثناء نومها و يمكن أن تكون خطيرة و هي في هذه الحالة على نفسها و على الغير ؛ إذ يمكنها التصرف بعنف قد يصل إلى حد ارتكاب جريمة لا يمكن محاسبتها عليها قانوناً لأنها تكون في حالة انعدام للوعي .

تتهد عزت و هتف في ارتياح :  
- أظن الآن لن يكون هناك مانع في الإفراج عنها .. و لو بالضمان المالي .

هتف رئيس النيابة في اهتمام :  
- أصدرت بالفعل قرار الإفراج عنها و لن يمكن احتجازها في المستشفى على ذمة القضية لأنه لا قضية في حقها حتى الآن .. لكن ضميري الانساني يحتم عليّ تنبيهك إلى أن حالة د / شيرين حساسة و خطيرة و من الأفضل استمرار وجودها في المستشفى حفاظاً على حياتها و على الآخرين .

أنهى عزت إجراءات الإفراج عن شيرين بسرعة قبل أن يعود إلى المستشفى و يقابل المدير مرة أخرى .. قرأ الرجل المستندات التي مع عزت قبل أن يهتف في استياء :  
- ما دامت النيابة قد قررت الإفراج عن موكلتك فلن يمكنني احتجازها هنا أكثر من هذا و سأقوم بتسليمها لك على مسؤوليتك الخاصة و لكن ليكن في علمك أن شيرين في حاجة ماسة للعلاج ؛ فهي في حالة سيئة كما أنها من الممكن أن تنتكس لأسوأ مما هي عليه .

هتف عزت في جدية :

- لن أتركها بدون علاج يا دكتور لكن ليس هنا .. سأعرضها على أمهر النفسانيين هنا في مصر أو في الخارج إذا اقتضى الأمر لكن و هي في بيتها أو في مصحة خاصة .. لذا أحتاج إلى تقرير مفصل بحالتها و الأدوية التي تعاطتها هنا و توصية بالطريقة المثلى لعلاجها أو الأطباء الذين ترى أنهم الأفضل في التعامل مع حالتها .

مط المدير شفتيه و هتف في لامبالاة :

- فليكن .. و سأكتب لها على بعض الأدوية التي ستكون ضرورية بالنسبة لها لحين عرضها على الطبيب الذي سيتولى حالتها خارج المستشفى .

منحه المدير الوصفة الطبية و صورة من التقرير بحالتها كما أمر الممرضة بأن تذهب لإحضار شيرين .. حينئذٍ هتف عزت :

- سؤال أخير يا دكتور لو سمحت .. إذا تزوجت شيرين هل يمكن أن يؤثر هذا سلباً على حالتها ؟

صمت المدير للحظة قبل أن يهتف ببطء :  
- شيرين فقدت الكثير من قواها العقلية و هي  
ليست في حالة تسمح لها باتخاذ قرار خطير  
كالزواج .. يمكن القول بأنها فاقدة الأهلية  
لمثل هذه المعاملات الجوهرية .

هتف عزت في حيرة :  
- هذه ليست إجابة يا دكتور .. كل ما أريد  
معرفة .. هل هذا يضر بها نفسياً أم لا ؟

هتف المدير و هو يطم شفتيه :  
- على الأرجح لا ؛ بل على العكس .. قد تكون  
هذه خطوة جادة على طريق الشفاء .. لكنني  
أشك كثيراً في أن شيرين من الممكن أن  
توافق على الزواج .

هتف عزت في استنكار :  
- كيف ؟! .. زواجنا هو حلم حياتنا الذي تأخرنا  
كثيراً في تحقيقه و شيرين وافقت عليه بالفعل  
من قبل ؛ فلماذا ترفض الآن ؟

هتف المدير في إشفاق :

- أنت لم ترها بعد .. شيرين التي ستغادر  
المستشفى معك الآن فتاة أخرى تماماً غير  
التي وعدتك بالزواج و سترى بنفسك .

نهض عزت ببطء و هو يتأمل شيرين التي  
دخلت في يد الممرضة ؛ بكى قلبه في لوعة  
و هو يتأمل وجهها الشاحب كالموتى  
و شعرها الناعم الذي كان مبعثراً حول وجهها  
في إهمال و ثيابها التي تهدلت على جسدها  
الذي ازداد نحولاً و عيونها الكسيرة المسبلة  
إلى الأرض .

اقترب منها و هو يهمس :

- شيرين .. حبيبتي .. هل أنت بخير ؟

أومأت برأسها إيجاباً دون أن تنظر إليه فهتف  
في لوعة :

- حبيبتي .. هل تعرفين من أنا ؟

أومأت برأسها إيجاباً مرة أخرى لكنها لم تقل  
شيئاً ؛ نظر عزت إلى الطبيب و كأنه يستنجد  
به ثم التفت إلى شيرين و هتف :

- ستغادرين المستشفى معي الآن .. ألدك  
مانع ؟

أومأت برأسها إيجاباً ؛ فزفر عزت في حرارة  
و هتف :  
- ألا تريدان الذهاب معي ؟ .. لماذا ؟

همست في خفوت :  
- لا أريد أن أؤذك .

ضمها إلى صدره و هتف :  
- أنتِ لن تؤذيني و لن تؤذي نفسك بعد الآن ..  
كما أنكِ لم تؤذي أي شخص من قبل ؛ أنا  
واثق من هذا .

غادر بها المستشفى و ذهب إلى مكتب المأذون  
؛ كان الرجل ينظر لها في استغراب و كأنه لم  
يعرفها قبل أن ينظر إلى عزت في قلق .. ثم  
هتف :  
- امهلي بضع دقائق حتى أتدبر أمر الشهود .

تركهما في مكتبه و خرج بسرعة ؛ فنظر  
عزت إلى شيرين في أسى قبل أن يهمس :

- شيرين .. حبيبتي .. لما أنتِ ساهمة ؟ ..  
ألستِ سعيدة بزواجنا ؟

لم تكن تنتظر إليه بل ظلت تنتظر إلى كفيها  
الذين عقدتهما معاً فوق حجرها و هي منكمشة  
.. طال الوقت و لم تجيبه حتى فكر في أنها لا  
تسمعه ثم همست فجأة :

- أبي يصر على تعذبي .. قلت له أحب عزت  
و لن أتركه .. توسلت إليه لكنه يصم أذنيه  
عني .

هتف عزت في ضراعة :  
- شيرين أرجوك .. انسي كل هذا الآن .

همست و كأنها لا تسمعه :  
- أريد أن أموت .. أرغب بشدة في أن أقتل  
نفسي لكنني لا أستطيع أن أفعل .. إذا مت  
سيقتلون حبيبي في المعتقل .. أبي جعل  
عذابي ثمناً لحياته .. يجب أن أحيأ و أتعذب  
لأجله .

سالت دموعه في حرقة قبل أن يخفي وجهه  
بين كفيه ؛ يعرف الآن كم تعذبت لكنه لا



يعرف كيف يشفي قلبها من هذا العذاب ..  
لأول مرة في حياته تمنى لو أنه لم يعرفها قط  
.. تمنى لو أنها لم تحبه و لم تتعذب من أجل  
هذا الحب .. لكن الفتاة المحطمة التي أمامه  
كانت لا تزال تتعذب و هو لا يملك ما يفعله  
من أجلها لذا أجهش بالبكاء و هو يشعر  
باليأس .

## الفصل الحادي و العشرون

كان عزت يفكر في أن مدير المستشفى كان لديه حق ؛ شيرين ليست لديها الأهلية لتزوجه نفسها ؛ و هو لا يستطيع بعد هذا الانتظار الطويل أن يورطها في توقيع عقد يستطيع أبوها أن يطعن بصحته و يلغيه من أول جلسة في المحكمة ..

أكد له حاتم على أنه قد اتصل على والدها و أنه قد يصبح في القاهرة بين لحظة و أخرى و عزت لا يعتقد أن السنين التي مرت من الممكن أن تكون قد غيرت موقفه منه أو فتنت ذرة من عنجهيته و استبداده ؛ لذا لم يكن ليستبعد أن يحارب زواجه من شيرين بكل قوته و شيرين لم تعد في حالة تسمح لها بأن تخوض معركة .

عندما وضع أحدهم كفه على كتف عزت ؛ رفع رأسه ينظر إليه ثم هتف في استغراب :

- حاتم .. ماذا تفعل هنا ؟

كان حاتم ينظر إلى شيرين بطرف عينه و قلبه يتمزق في ألم ؛ و هو يهتف :

- الشيخ هلال اتصل بي .. لاحظ أن شيرين ليست في حالة طبيعية و ساورته الشكوك .. كيف هي الآن ؟

مسح عزت دموعه و هو يهتف :  
- أسوأ مما تخيلت بكثير .. تحدث نفسها و كأنها لا تراني و لا تسمعني .. انظر إليها .. أظن أنها لا تراك أنت أيضاً و لا تعرفك .. و ربما تفقد إدراكها لكل ما حولها تدريجياً .

تأمل حاتم شيرين في ألم قبل أن يهتف :  
- ربما كان من الأفضل لو أدخلناها إلى نفس المصحة التي كانت تعالج فيها من قبل .. الأطباء هناك يعرفون حالتها و سيمكنهم التعامل مع هذه الترديات بسرعة .

هتف عزت في توتر :  
- سنفعل .. لكن ليس قبل أن نتزوج .

هتف حاتم في استنكار :  
- و هي في هذه الحالة ؟! .. شيرين تحتاج إلى علاج .

هتف عزت في لوعة :

- افهمني يا حاتم أرجوك .. شيرين مذبوحة  
و لا يمكنني أن أترك جراحها تنزف حتى  
تقضي عليها .. أحتاج لأن أكون معها في  
محنتها كما تحتاج إلى وجودي و لن أتردد في  
إتمام زواجنا الآن و لا للحظة واحدة  
و لكن ...

صمت للحظة في تردد قبل أن يحسم أمره  
و يردف :

- و لكنني أحتاج إليك .. أعرف أنه من الوقاحة  
أن أطلب هذا منك و لكن .. أنت ابن عمها  
و في غياب والدها تكون أنت وليها شرعاً  
و قانوناً و لن .. لن يكون العقد صحيحاً إلا إذا  
زوجتها أنت لي .

امتنع وجه حاتم بشدة فاطرق عزت برأسه  
و همس :

- أنا آسف .. لكن صدقني .. ليس أمامي بديل ..

نظر حاتم إلى شيرين و لاحظ كم كانت  
منكمشة على نفسها و كأنها ترغب في أن  
تختفي حتى لا يراها أحد ؛ كان كفاها

يرتعشان و جسدها يرتجف عندما انحنى حاتم  
إلى الأرض أمامها و هتف :

- شيرين .. انظري إليّ .. هل توافقين على  
توكيلي في تزويجك من عزت ؟ .. عزت عاد  
من الكويت و لا زال يحبك كما كان دائماً  
يا شيرين ؛ فهل ترغبين في الزواج منه ؟

همست شيرين في شroud :

- عزت حبيبي .. أبي انتزعه مني .. حاتم  
يخيفني .. أنا لا أكرهه لكنني لا أطيق البقاء  
معه .. أتمنى أن أموت علني أرتاح .

تنهد حاتم في أسى قبل أن يقف على قدميه  
و يشد قامته و هو يهتف في حسم :

- اسمع يا عزت .. سأزوجها لك الآن لكنني  
سأتصل على المصحة و أتدبر دخولها لها  
اعتباراً من الغد .. شيرين مسئوليتي و أمانة  
تركها عمي في رقبتي حتى لو كان زواجي  
منها قد انتهى و أنا لا أستطيع أن أتركها في  
هذه الحالة .

تنهد عزت في ارتياح و هتف في صدق :  
- افعل ما تراه مناسباً يا حاتم فأنا واثق من أنك  
بالفعل تسعى لصالحها .. كل ما أريده هو أن  
تبدأ علاجها و هي زوجتي .. أريد أن نكون  
معاً و هي تواجه هذا الطريق الصعب لأنني  
لن أسامح نفسي إذا تخليت عنها و تركتها  
وحيدة من جديد .

بعد دقائق قليلة كان المأذون قد انتهى من  
إجراءات العقد ؛ و كانت شیرين كما لو كانت  
في عالم آخر ؛ قادها عزت برفق إلى سيارته  
و أدخلها إليها قبل أن يلتفت إلى حاتم هاتفاً :  
- أنا لا أعرف كيف أشكرك .. لن أنس لك هذا  
الجميل طوال حياتي .

نظر حاتم إلى شیرين في قلق و هتف :  
- لا داعي للشكر .. كل ما أرجوه هو أن أكون  
قد فعلت الصواب لأجلها .. شیرين قاست  
كثيراً و على الرغم من أنها جرحنتني إلا أنني  
أعذرها .. و أتفهم جيداً أنها لم تقصد أن تفعل  
.. سامحه الله عمي .. هو الذي ظلمها  
و ظلمني معها .

رن جرس هاتف حاتم فتلقى المكالمة ثم  
انفجرت أساريه وهو يهتف في سرور :  
- حقاً؟! .. و متى أستطيع أن أراها ؟ .. رائع  
جداً .. أشكرك .. أشكرك كثيراً .

أنهى الاتصال ثم التفت إلى عزت هاتفاً :  
- امثال استعادت وعيها أخيراً و تجاوزت  
مرحلة الخطر .. سيسمحون لي برؤيتها  
صباح الغد بعد أن يسمع رئيس النيابة  
أقوالها .

هتف عزت في صدق :  
- مبروك .. ألف مبروك .. أتمنى أن يتم  
شفائها على خير .

ثم أردف في توتر :  
- غداً ستتكشف الحقيقة و سنعرف ما الذي  
عاملها بتلك الوحشية .. الآن بعد أن بت واثقاً  
من أنه ليس أنت بدأت أخشى ...

بتر عبارته فزفر حاتم في حرارة و هتف :  
- أتخشى أن تكون شيرين مسئولة عما حدث ؟  
.. حتى لو كان هذا صحيحاً فأنا واثق من أن

القانون لا يمكنه أن يحاسبها على جريمة ارتكبتها في حالة انعدام الوعي .. و كلانا يعرف أنه من المستحيل أن تفعل شيئين كهذا لو أنها في وعيها .

هتف عزت في أسي :

- أتمنى لو أنها بريئة .. بل لدي شعور يقيني بأنها بريئة و لكن ....

هتف حاتم في ألم :

- أفهم شعورك .. حالة شيرين إذا كانت قد تردت إلى حد ارتكاب جريمة بهذا العنف و بمبرر اختلقته مخاوفها فحسب فسيكون الألوان قد فات كثيراً على علاجها و ربما لن يمكننا إنقاذها مما هي فيه أبداً .

في الصباح التالي عندما وصل عزت إلى المستشفى كان حاتم هناك .. ينتظر أمام باب غرفة زوجته انتهاء إفادتها بأقوالها و انصراف رئيس النيابة حتى يمكنه رؤيتها .. اقترب منه عزت و هتف في قلق :

- أليس هناك أخبار بعد ؟



هتف حاتم في أسى :

- لا للأسف ليس بعد .. رئيس النيابة في  
غرفتها منذ ساعة كاملة و هذا كثير ؛ لا تزال  
صحتها ضعيفة و لم يكن عليه إرهاقها لهذا  
الحد .. و ماذا عنك ؟ .. كيف هي شيرين  
اليوم ؟

هتف عزت في توتر :

- حالتها سيئة يا حاتم .. أعطيتها كل الأدوية  
التي أوصى الطبيب بها و مع هذا لم تنم  
طوال الليل و لم تتوقف عن الحديث مع نفسها  
و كأنها تهذي .. كلامها مضطرب و غير  
مرتب و لا أستطيع فهمه أحياناً .. كل ما  
فهمته هو أنها خائفة .. تستحوذ عليها فكرة  
أنها هي من أذى امتثال و تظن أنها من  
الممكن أن تؤذي أي شخص آخر حتى لو كان  
أنا .. لولا الممرضة التي أرسلتها إلى شقتي  
هذا الصباح لما استطعت أن أكون هنا الآن  
فمن المستحيل أن نتركها وحدها و هي في  
هذه الحالة .

## الفصل الثاني و العشرون

مر بعض الوقت و هما يشعران بالقلق حتى غادر  
رئيس النيابة غرفة امتثال فأسرع كلاهما نحوه  
و هتف حاتم في لهفة :

- هل يمكن أن أراها الآن ؟

هتف رئيس النيابة مبتسماً :

- طبعاً .. يمكنك أن تطمئن على زوجتك كما  
تريد يا باشمهندس .

توقف حاتم للحظة متردداً ؛ كان يرغب في  
أن يعرف ما إذا كانت شيرين بريئة أم لا  
و كذلك عزت الذي هتف :

- هل قالت من الذي فعل هذا بها ؟

اتسعت ابتسامة رئيس النيابة و هتف :

- و سيتم حفظ الاتهام في حق د / شيرين لثبوت  
براءتها .. اطمئنا .. الدكتورة لا دخل لها فيما  
حدث .

تهلل وجه عزت فرحاً و أسرع يغادر  
المستشفى بينما تنهد حاتم في ارتياح قبل أن

يدخل إلى غرفة زوجته التي بدت ضعيفة  
و حزينة .. جلس على طرف فراشها  
و هتف :  
- أنا آسف .. لو كنت موجوداً معكِ لما استطاع  
أحد أن يؤذيك .

انهمرت دموعها و هي تهمس :  
- ليست غلطتك .. بل غلطتي أنا .. ما كان عليَّ  
أن أحبك إلى حد التفریط في كرامتي  
و حقوقي .. أخي تشكك في تصرفاتي  
و راقبني حتى فاجأني عندما دخلت إلى شقتنا  
.. أقسمت له على أنك زوجي لكنه لم يصدقني  
.. و لم أستطع أن أثبت له صدقي لأن نسختي  
من عقد الزواج كانت مع عزت المحامي ..  
حسين قتل ابني و كاد أن يقتلني معه و أنا  
الملومة لا هو و لا أنت .

هتف حاتم في ندم :  
- صدقيني يا امتثال أنا لم أفكر لحظة في الغدر  
بك .. كنت أحتاج بعض الوقت فحسب  
لأعرف كيف سأصارع شيرين بزواجي  
و حملك لكنني لم أفكر لحظة في أن أنكر  
ابني .

همست امتثال في ضعف :

- لا تأسف يا حاتم .. أنت لم تحبني .. لو أنك فعلت لتزوجتني شرعاً و علناً لكنك لم تفعل .. أنت فقط كنت تحتاج إلى حبي لك و عندما اكتفيت لم تعد لي قيمة لديك .

هتف حاتم في صدق :

- لا زلت أحتاج إليك يا امتثال .. زواجنا لم يعد سراً فقد أقررت به في محاضر النيابة و نستطيع أن نوثقه في مكتب المأذون بمجرد أن نتعافي .. أنا لن يمكنني إنكار زواجنا بعد الآن حتى لو أردت .

همست امتثال في ألم :

- لا أريدك أن تنكره بل أن تنتهيه يا حاتم .. اقتربنا غلطة كبديتنا خسارة لن نستطيع تعويضها و ربما من الأفضل أن نصوبها الآن و قبل فوات الأوان .

أطرق حاتم برأسه و بدا و كأنه يفكر بعمق  
قبل أن ينظر إليها و يهتف في حسم :

- لا أفكر في الطلاق يا امثال بل في إعلان  
زواجنا .. أريدك أن تكوني زوجتي و أم  
أولادي أمام العالم بأسره .

همست في أسي :

- لما ؟ .. أنت لا تحبني .

أمسك حاتم كفها و قبلها قبل أن يهتف :

- أنا لن أخدعك و لن أدعي أنني أحبك .. الفتاة  
الوحيدة التي أحببتها في حياتي لم يكن لي  
مكان في قلبها و تركتني في حياتها على  
الهامش .. أنا أذيتها و عجزت عن إسعادها  
و ربما أكون سبباً لتعاستها إلى آخر العمر ..  
أنا لم أكن يوماً لها و لا هي كانت لي .. قلبها  
قال كلمته منذ سنين لكن لا أنا و لا هي  
استطعنا أن نسمع له و عاندناه .. و أنا لا أريد  
أن أفعل بنفسي ما فعلته بنفسها .. عندما نحب  
الشخص الذي لا نستطيع أن نكمل حياتنا معه  
ربما يكون من الأصوب لو أننا خضعنا للأمر  
الواقع و بحثنا حولنا عما يحبنا بصدق  
و يستطيع أن يعوض علينا خسارتنا و هذا ما  
أفعله الآن .. أريد أن أتشارك حياتي مع  
زوجة تحبني و تعوضني و تتجلب لي و تملأ

عليّ حياتي و سأرعاها و احفظ جميلها لآخر  
عمرى .. فهل أنتِ مستعدة لهذا ؟

سحبت كفها من بين أصابعه و هي تهتف في  
تذمر :

- أنا أحبك يا حاتم .. أحبك أكثر مما تتخيل ..  
لكنني أكرهك كثيراً عندما تكون صريحاً معي  
لهذا الحد .

ضحك حاتم و هتف :

- إذا أردتِ أن أكذب عليكِ فلا بأس ؛ أجد  
الكذب بأكثر مما أجد الصراحة و عندما  
تنتقلين للإقامة معي في القصر سنجد حلاً  
وسطاً بين حبك لي و كرهك لصراحتي .

ابتسمت امتثال فجذبها حاتم إلى حضنه  
و ضمها في حنان و هو يفكر في أنها الفرصة  
التي منحها له القدر لينقذ حياته أو ما تبقى  
منها .. كان يرغب في أن يبحث عن الحب  
بين أحضان زوجة يعرف أنها تحبه بصدق  
و ستبذل كل ما في وسعها لإسعاده .

و فكر في شيرين .. هل يمكن أن تجد هي  
أيضاً سعادتها مع الرجل الوحيد الذي أحبته  
طوال حياتها ؟ .. انتظرتة طويلاً و تعذبت في  
حبه حتى كادت أن تفقد عقلها لكن عزت  
اختار أن يتمسك بها رغم كل ظروفها الصعبة  
و ربما كان يستطيع أن يشفي كل جراحها  
و ينتشلها مما هي فيه .. كم كان يتمنى هذا !!

عندما عاد عزت إلى شقته أخبرته الممرضة  
بأن شيرين نائمة في غرفته منذ خرج  
و تركها في الصباح ؛ دخل عزت على  
أطراف أنامله إلى الغرفة على أمل أن تكون  
نائمة بالفعل و لم يكن يرغب في إيقاظها ..

كانت شيرين مستلقية على جنبها في فراشه  
و هي منطوية على نفسها ؛ و على الرغم من  
أنها كانت مغمضة العينين إلا أنها لم تكن  
نائمة بل كانت تنصت إلى صوت المذياع  
المرتفع الذي وصل إليها من المقهى الذي  
بأسفل البناية ..

انتزع عزت سترته و ربطة عنقه و ألقاهما  
جانباً قبل أن يصل إلى أذنيه همسها و هي

تدندن مع الأغنية .. أسرع عزت يستلقي في  
الفراش بجوارها و يضع يده على كتفها و هو  
يهمس :

- شيرين .. ءأنتِ مستيقظة ؟

همست دون أن تفتح عيونها :  
- سيان .. عندما أنام أنهض .. و عندما أنهض  
أسير .. و عندما أسير قد أؤدي الأبرياء ..  
و أؤدي نفسك .. و ربما أؤذك .. و أنا لا  
أريد أن أؤذك .. أريدك أن تحبني فحسب ..  
لا أريد أن أظل وحيدة يا عزت .. لا تتركني  
وحيدة أرجوك .

لثم عزت شعرها في حنان و هو يهمس :  
- إذا نمتِ ستنامين في حضني .. و إذا نهضتِ  
سأحرسك و أراعك .. و إذا سرتِ و أنتِ  
نائمة ستبحثين عن حضني و تعودين إليه ..  
أنتِ لم تؤذي أحداً يا شيرين و لن تفعلي .

همست :  
- و امتثال ؟!



هتف عزت في سرور :  
- امتثال بخير و لا شأن لك بما حدث لها .. أنتِ  
بريئة .

استلقت على ظهرها و نظرت إليه في  
استغراب قبل أن تهمس :  
- هل تعني هذا فعلاً ؟ .. أنا لم أؤذي امتثال ..  
لم أجهضها .

لم يقل شيئاً بل قبلها في حرارة ؛ أجفلت  
للحظة و ظن أنها ستدفعه بعيداً عنها لكنها لم  
تفعل بل تنهدت في حرارة قبل أن تنخرط معه  
في قبلة طويلة حارة .

## الفصل الثالث و العشرون

بعد أيام قليلة وقفت شيرين في مكتبها و هي تتأمل عزت الذي جلس خلف مكتبها و هي تبتسم قبل أن تهتف :

- يليق كثيراً بك .. كل ما ينقصنا الآن هو صورة عائلية لنا نحن و شيرين نضعها على سطح المكتب لترانا أمامك طوال الوقت .

هتف عزت في تردد :

- هل أنتِ واثقة من أن هذا ما تريدينه فعلاً ؟ .. هذا مكتبك يا شيرين .. أنتِ تعبتِ في صناعة اسمه و سمعته و لا معنى لتخليكِ عنه الآن .

جلست فوق المكتب و تخللت أناملها خصلات شعره الناعمة و هي تهتف :

- أنا لا أتخلى عنه بل أهديه لك .. أنا بالفعل لن أستطيع أن أعود إلى سابق عهدي بهذه السرعة يا عزت .. ثقة الموكلين بي و حتى ثقتي بنفسي قد اهتزت و أنا لا أريد تصفيته و إغلاقه .. حرام يا عزت .. المحامون و الموظفون العاملون هنا رتبوا حياتهم على عملهم هذا و لا أستطيع حرمانهم من مصدر

رزقهم .. ثم إنني لن أظل عاطلة عن العمل ؛  
لديّ عرض معلق منذ سنين للعمل في السلك  
الجامعي و أظن أن هذا ما يناسبني الآن فهي  
وظيفة لن تضغط عليّ أو توتر أعصابي ..  
أتذكر ؟ .. كنت أحلم بهذا عندما كنا لا نزال  
في نفس المدرج و أنا الآن أريد تحقيق  
أحلامي كلها .

أمسك عزت كفها و قبل أناملها و هو يهتف  
في حنان :

- كما أنها لن تأخذ الكثير من وقتك لأن لديّ  
حلماً آخر أتوق إلى تحقيقه .. طفل أو طفلة  
يكملون سعادتنا و يملئون علينا حياتنا .

أحاطت عنقه بساعديها و هي تهتف :  
- لدينا طفلة بالفعل يا عزت أم أنك قد نسيت ؟  
.. صحيح أن حماتي لا تريد تركها لنا لكنني  
سأذهب إليها الآن و لن أعود إلا و هما معي .

هتف عزت في قلق :  
- الآن ؟! .. لا يمكنني ترك المكتب في أول يوم  
لاستئناف العمل به ؛ انتظري لبضعة أيام .

هتفت في إصرار :

- و لا لساعة واحدة .. ثم من قال أنك ستأتي  
معي ؟ .. هذه مسئوليتي أنا و أنا سأتولاها  
بنفسي و اطمئن .. الطبيب الذي يتولى  
علاجي الآن يرى أنني سأكون طبيعية جداً  
طالما لا أضغط على نفسي بأي جهد بدني  
أو ذهني أو عاطفي و هذا ما أنوي أن أفعله ..  
أنت ستدللني و أنا سأدلل أولادنا و لن نسمح  
لأي شيء بانتزاع سعادتنا منا .

نزلت عن المكتب و هي تردف :

- سأترك لك مشاكل القضايا و المحاكم  
و الموكلين و أتفرغ للبحث عن البيت الجديد  
.. سأبحث عن فيلا صغيرة في كومباوند  
هادئ و متطرف و بعيد عن الزحام  
و الضجيج و مشاكل الحياة اليومية  
و وضغوطها .

ابتسم عزت و هتف :

- يبدو أنك تحفظين توصيات الطبيب بحذافيرها  
و هذا يسعدني .. لكن لا زال لا يمكنك السفر  
اليوم فلدينا دعوة على العشاء .. حاتم اتصل  
بي و يرغب في الاحتفال بشفاء امتثال

و إعلان زواجهما و بالتأكيد سيكون أبوك  
موجوداً هناك .

التقطت حقيبة يدها الأنيقة و هتفت في  
إصرار :

- اطمئن .. والدي لن يحاول أن يتحرش بنا فهو  
يعرف جيداً أن أعصابي لن تتحمل الضغط  
عليها كما أنه لم يعد لديه دافع لإزعاجنا ؛  
و الوقت لا يزال مبكراً و سأعود قبل العشاء  
بوقتٍ كافٍ و شيرين و أمك معي .

ما إن غادرت شيرين المكتب حتى التقط  
عزت هاتفه و اتصل على أمه التي هتفت في  
لهفة :

- كيف حالك يا عزت ؟ .. وحشتني .

هتف عزت في رجاء :

- إذا كنتِ قد اشتقتِ إليّ بالفعل فيجب أن  
تعودي يا أمي فأنا بالفعل أشتاق إليك و إلى  
شيرين .. كيف هي ؟ .. أريد أن أسمع  
صوتها .

هتفت الأم في هدوء :  
- هي بخير لكنها ليست قريبة مني .. تلعب أمام  
البيت مع أبناء أختك .

انتفض عزت و هتف في فزع :  
- كيف تسمحين لها بهذا يا أمي ؟ .. قلت لكِ ألا  
تتركها تغادر الدار ؛ الرياح قريب و خطر  
و هي صغيرة و لا تجيد السباحة .

هتفت الأم في لامبالاة :  
- لا تكن قلقاً لهذا الحد .. كنت تلعب أنت  
و أخوتك في نفس المكان و ها أنتم بخير  
و الحمد لله .

زفر عزت في توتر قبل أن يهتف :  
- دعينا في المهم يا أمي .. شيرين في طريقها  
إليكِ الآن و ستطلب منكِ العودة معها ..  
و أتمنى ألا ترديها خائبة الرجاء .

هتفت الأم في حدة :  
- لا داعي لمجيئها فأنت تعرف موقفي جيداً ..  
أنا لست مستعدة للمخاطرة بحفيدتي .. يكفي  
أنني أموت قلقاً عليك في كل لحظة لكن ليس

باليد حيلة .. ربما لا أستطيع إنفاذك لكنني  
أستطيع إنقاذ حبيبتي شيرين .. البنت معي في  
الحفظ و الصون .. عش أنت حياتك مع  
المجنونة التي اخترتها كما يحلو لك .

أنهت الاتصال مع ابنها و هي لا تزال مصرة  
على موقفها ؛ و ظلت عصبية و ازدادت  
عصبيتها و هي تنتظر شيرين التي أتت إليها  
و هي تبسم في تردد ..

تأملتها الأم للحظات و هي تعترف بينها و بين  
نفسها بأن الفتاة المشرقة بالحياة ذات الثوب  
الأبيض و الشعر الأسود المنسدل كالوشاح  
و العيون التي تتلألأ فيهما فرحة الحياة لا  
يمكن أن تكون مؤذية أو خطيرة كما  
تتخيلها .. بدت كالملاك و هي تتذلل للأم كي  
تسمعها لكنها هتفت في إصرار :

- اسمعي يا شيرين .. أنا لست لديّ ضغينة  
ضدك .. أنتِ الآن زوجة ابني و هو سعيد  
بزواجه منك و أنا لا تهمني سوى سعادته ..  
لكن بقائي هنا ضرورة حتمية بالنسبة لي و لن  
أترجع عنها و انس أن أسمح لك بأخذ حفيدتي

.. انسِ أمر شيرين و غداً سيصبح لكِ أولاد  
و لن يكون لها مكان بينهم .

ابتسمت شيرين و هي تهتف :  
- و عندما يصبح لي أولاد ألن يكونوا أحفادك  
مثلهم مثل شيرين يا أمي ؟ .. هل ستخافين  
عليهم إلى حد انتزاعهم مني أم ستعتبرين  
شيرين أكثر معزة منهم و تكتفين بالاحتفاظ  
بها ؟

بهت وجه الأم إذ لم تكن لديها إجابة فهي لم  
تفكر في الموضوع من هذه الزاوية من قبل ..  
و قبل أن تبحث عن جواب سمعتا صوت  
صريخ قبل أن يدخل أحد أولاد ابنتها إلى  
الدار و هو يهتف في فزع :  
- شيرين تغرق .. شيرين سقطت في الرياح .

اندفعت شيرين و الأم تغادران المنزل  
و تسرعان إلى الرياح حيث غطس جسد  
الطفلة التي بالكاد قد ظهر جزء من  
ملابسها ..



قفزت شيرين في الرياح و أسرعت نحو  
الطفلة و انتشلتها قبل أن تخرج بها من الماء  
و تضعها على الأرض و تضغط على قفصها  
الصدري بكلتا يديها بقوة حتى أخرجت الماء  
من رئتي الطفلة التي ظلت فاقدة الوعي  
فحملتها شيرين في سيارتها و أسرعت بها  
نحو أقرب مستشفى و الأم معها و هي تبكي  
في حرقه .

عندما أتى عزت إلى المستشفى وجد أمه تتف  
وحدها فاندفع نحوها فهتفت الأم في جزع :  
- اطمئن يا عزت فهي بخير .. شيرين أنقذتها  
على آخر نفس .. لولاها لربما فقدناها .. أنا  
أسفة .. كان يجب أن أسمع لك .

كانت تبكي في لوعة فضمها عزت إلى  
صدره ليهدئ من روعها قبل أن يهتف :  
- أين هما يا أمي ؟ .. لن أطمئن قبل أن أراها  
بعيني .

أشارت إلى باب الغرفة فأسرع عزت يدخل  
إليها ؛ كانت ابنته نائمة أما شيرين فكانت

واقفة بجوار فراشها .. تنهد في ارتياح بينما  
عبست شيرين هاتفه :

- لماذا جئت ؟ .. و كيف عرفت بأننا هنا ؟ ..  
أرجوك لا تنظر إليّ فأنا أبدو بشعة .. أحتاج  
لأن تغمرني في الماء و الصابون لثلاثة أيام  
على الأقل .

ابتسم عزت و ضمها إلى صدره و هو يهتف  
في حرارة :

- بل أنت أجمل امرأة تراها عيوني في كل وقت  
و في كل الظروف يا حبيبتي .. لا أعرف  
كيف أشكرك .. أنت أنقذت حياتي .

استرخت بين ذراعيه و هي تهتف باسمه :  
- كله سلف و دين .. هل نسيت كيف التقينا ؟ ..  
و من يدري ؟! .. ربما أنقذت حياتي في ذلك  
اليوم لأعيش حتى أنقذ حياة ابنتك .

قبل جبينها قبل أن يسحب يديه من حولها  
و يحمل ابنته هاتفاً :

- أنقذت حياتك مرة و أنقذت حياتي مرات ..  
دعينا نعود إلى بيتنا يا شيرين .. لا داعي  
لبقاءنا هنا ما دمتما بخير .

هتفت شيرين في أسى :  
- لكنني لم أقنع والدتك بالإقامة معنا بعد .. لم  
أجد الفرصة لأتكلّم معها بما يكفي .

دخلت الأم إلى الغرفة و هي تهتف في  
امتنان :

- فعلت ما هو أصدق من الكلام بكثير يا ابنتي  
.. أنا مدينة لكِ بحياة حفيدتي و لن أجد من  
أنتمنه عليها أكثر منك .

فتحت الطفلة عيونها و نظرت إلى أبيها  
و ابتسمت قبل أن ترَ شيرين فانفجرت  
أساريرها و هي تهتف في لهفة :  
- أمي .. أين الملاهي ؟ .. وعدتيني بالذهاب  
إليها ؟

داعبت شيرين شعر الطفلة بيدها و هي تهتف  
في سرور :  
- سنعود إلى البيت الآن لتترتاحي ثم سأخذك إلى  
الملاهي كل يوم إذا أردت .

نظر عزت إلى زوجته التي أشرقت الابتسامة  
في عيونها و شعر بالارتياح .. أخيراً أشرقت  
شمس الحب لتنير حياته بأسرها و لن يسمح  
لها بالمغيب مرة أخرى أبداً .. حتى آخر  
العمر .